عبد الله كوران

مراقيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1830) السنة السابعة

الخميس (24) حزيران 2010

بيت عبد الله كوران

5

تطور الواقعية في شعر عبد الله كوران

6

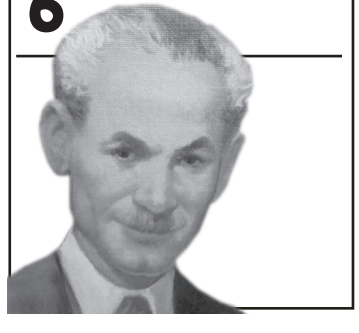

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

كتب صاحب تاريخ الادب الكردي في مقدمة كتبها في حياة كوران للطبعة الاولى لديوان الدموع والفن يقول:
"...عندما برز بيننا شاعر كبير في النصف الاول من القرن العشرين،
ولم يهتم بأي صعوبات وانتقادات منح فجأة حرية حقيقية لأوزان الشعر وحرره من قيود القافية.. نعم أنقذه ولكنه لم يفقد حنينه للشعراء القدامى تماما، بل تحدث مثلهم في ما يماثل دربهم.
شاعرنا هذا هو كوران، اتبع كوران في اسلوب شعره الاسلوب الغربي وكان هدفه الوحيد التعبيري عن الخيال وصنع معنى الشعر، لا اللفظة الشعرية وحدها.

إبداع عبد الله كوران

د. عز الدين مصطفى رسول

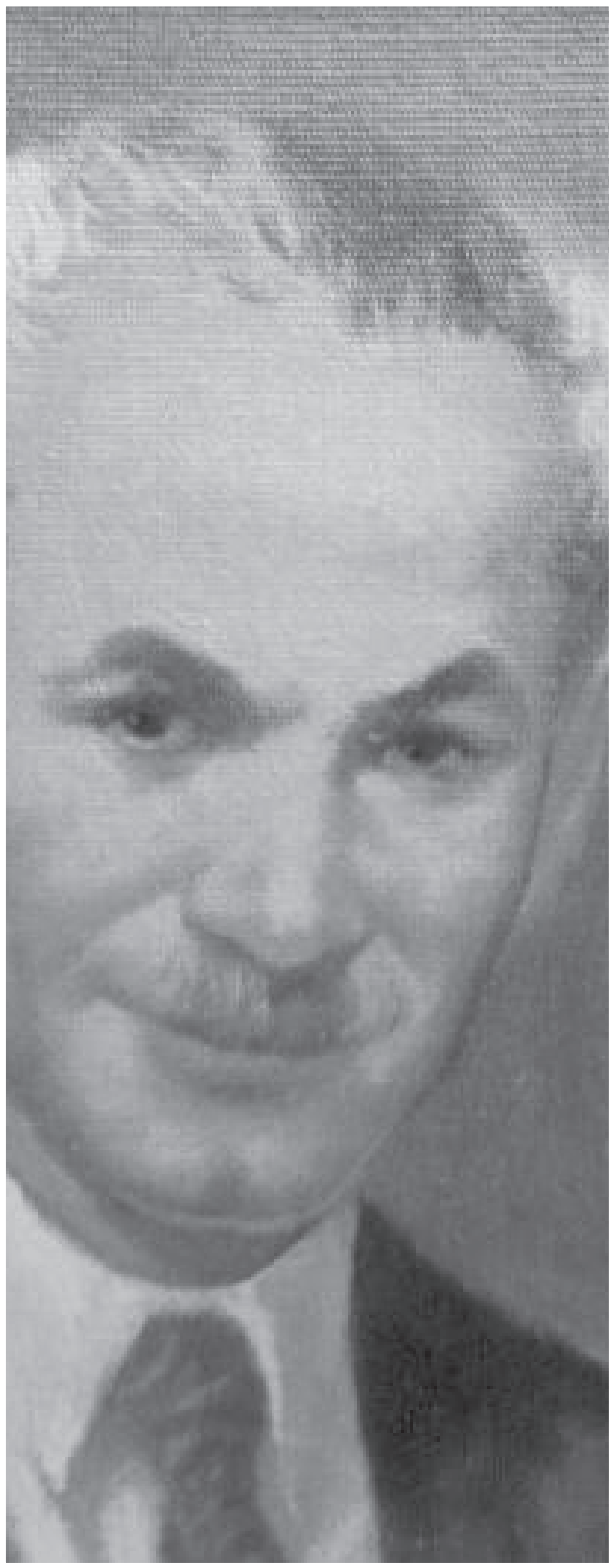

تخص كلمات السجادي هذه المرحلة الرومانتيكية لشعر كوران ، ولهذا يستمر قائلاً: "ان الشاهد على هذا الاعلان، هو ديوانه هذا، فنراه مظهراً لجمال الطبيعة في مكان ما، معبرا عن خواطر قديمة بمشاعر صافية في مكان اخر، مقربا اياك في بعض المواضيع من نوع من الخيال لا اظن الريش في اجنحة الحور اجمل منها.
ويتحدث رفيق حلمي عن هذه المرحلة من شعر كوران ايضا فيقول: "...ان كوران لم يضع حب المرأة والجمال جانباً، مثله في ذلك سائر شعراء المدرسة القديمة (المدرسة الكلاسيكية) فنظم اشعاراً غرامية كثيرة، غير ان اشعاره تختلف عن اشعارهم بعد السماء عن الارض.. فانها لاتحتوي على تقليد، فقد بدل المعنى نهائيا ايضا، ووضع له سبيلا جديدا أي انه قام بـ (انقلاب) في دنيا الشعر وفي الشعر الكردي خاصة، وهدم كوران بهذا الانقلاب مدرسة الشعراء القدامى تماما، وقلب دنيا الشعر الكلاسيكي رأسا على عقب.
ولكن رفيق حلمي نفسه اشار الى ان كوران قد خطا في مرحلة الشعر الرومانتيكي ووصف المرأة والطبيعة نحو الواقعية وكتب لذلك يقول:
ولكن كوران عندما يريد التحدث عن سواد العين والاهداب.. او الضفائر (حواجب) الحبيبة، فهو ماهر وشاعر في ذلك اذ يقول:
أي سواد يضاهي سواد عينيها؟
وأهدابها وحاجبها وشعرها المرسل؟
وكتب كذلك:
..يقول كوران باسلوبه الشاعري:
فأي نجوم زاهية، وأي ازهار برية
تضاهي حمرة خديها، وحلمتيها
وشفتيها؟
ما من شك ان الشيخ رضا الطالباني كان الشاعر الاول لزمانه ويمكنني القول انه لانظير له في بعض الجوانب، وخاصة اشعاره التي نظمها باللغة الكردية فهي من نوع (السهل الممتنع) وهي نموذج راق من (البلاغة) قال هذا الشاعر المشهور في وصف قامة حسناء:
ما السرو ما الناي كي يخصما قامتك
خسئ الناي ونطح السرو رأسه بالحجر
لا أرى وصفا اجمل واكثر معنى واكمل صنعة ادبية من هذا، ولكنني انظر الى هذا البيت لكوران اذ يقول:
واي علياء أبهى من شموخ قامتها؟
واي شعاع يقارب شعاع الطرف منها؟
انه على درجة من البساطة والسلاسة وينعدم فيه تزويق الكلمة والعبارة الاجنبية (المنفوخة) انه على درجة من الجمال والحلاوة والنصيب من الذوق الادبي، لانه (واقعي) ولم يأخذ قيمة (جمال المعنى) من المبالغة والخيال.
يتجه رفيق حلمي في مجال هذه الاحكام الى بيت اخر لكوران ويصدر حكماً مماثلاً على واقعية كوران:
ولهذا فهو يقول:
ولكن الطبيعة تخلو ابداً
من النور، ان غابت عنها بسمة الحبيبة
وبعد ان يعدد كل صور الجمال في الطبيعة ويحضرها امام أعيننا، ويفهمنا ان كل ذلك جميل وحلو ومضيء لدرب الحياة، يعود فيقول: مع ذلك فإن جميعها لا تضيء القلب من دون بسمة الحبيبة.
يريد رفيق حلمي ان يعتبر كوران واقعياً منذ ذلك الزمن لإتيانه بحقيقة الحياة والمجتمع وتصويره اياها بريشة شاعر فنان، وهذه خاصية من خواص الواقعية الجديدة، كتب رفيق حلمي في هذا الخصوص يقول:
..تحدث كوران عن الواقع اكثر من أي شيء ورسم لنا لوحات كثيرة من حياة المجتمع الكردي، ولكن هذه اللوحات التي ترينا (واقع) شعبنا وهي صحيحة اقتبست شيئا من الخيال ايضا ، ولكن هذا الاقتباس لم يخرج من حدود الضرورة (الفنية).
يجعل الكاتب من (الوردة الدامية) دليلاً لهذا الحكم وبعد ايراد نماذج كثيرة يقول: ان كوران شاعر (فنان) وواقعي ودون ان نأبه او نشك في قولنا هذا نقول ان كوران شاعر واقعي وفنان في الحقيقة، هو شاعر اغترف اشعاره، من منبع الحياة، أي من الحياة الاجتماعية للكرد وصبها في بودقة الادب اخرجها لنا في هذه الصورة السحرية المحيرة التي تسمى شعراً ..
يشير الكاتب الى معرفة التركية والانكليزية – التي صقلت الى جانب تعلم الفارسية منذ الطفولة الموهبة الفنية لكوران.. مثل شعلة قوية ومنيرة.. واضاءت الجوانب المعتمة في قلبه وفكره.. ويجعل منها دليلا على كسره لقيود التقليد ويعتبر كوران رائدا ويقول: ..وضع كوران لنفسه مبدأ جديداً في الشعر. يجوز لشعرائنا وادبائنا الجدد ان يقلدوه ويسيروا على هديه..
اذا كان هذا رأي كاتب وناقد رائد مثل رفيق حلمي فيمكننا ان نتبعه قائلين:
..ان كوران الشاعر، هو واحد من اعاظم شعراء الأمة الكردية في مجمل تاريخ الادب الكردي..ولاتكمن عظمته في احتلال شعره لموقعه في صف نتاج الشعراء الكبار في العالم بل تمكن في شيء اخر يندر مثله في تاريخ الادب العالمي، فقد ظل كوران منذ ان بدأ ينظم الشعر فتياً يتطور وتتنامى قدرته الابداعية ، ومهارته الفنية، وتتطور مضامينه الشعرية تطوراً خلاقا، وفي كل هذه المسيرة والتدرج في سلم المدارس الادبية المعروفة، كان رائداً لشعراء المدرسة التي تعكس بإبداع مميزاتها، ولم ينفك لحظة من التجديد المستمر، الذي كان له معطيات ملموسة للادب الكردي ولسيره الى امام.
ان الاساس الشعري لكوران متماسك ورصين فورث التراث الادبي للامة، المنطوق والمدون (الفولكلور والادب) ودخل الحياة من ابواب عديدة ونظر الى الحياة من مراصد ومنافذ عديدة . ووطد دعائم معرفته وموهبته وتذوقه لاداب شعوب العالم، واستفاد من خمس لغات ويمكننا القول انه سخر طاقات وابداع تلك اللغات لخدمة اللغة الكردية وادابها واستخدامها كاملة وبابداع كانت علاقته مع اللغات الاخرى طبيعية وابداعية ،ولم يفرض الاضطرار لغة واحدة عليه.
فإرتبط بعلاقة خلق متساو مع حافظ والخيام وعشقي وابي تراب جلي وناصر خسرو ونامق كمال وتوفيق فكرت وجلال نوري وناظم حكمت وشيللي وكيتس، ومع الرصافي والجواهري في الفترة الاخيرة، وكان تأثير هؤلاء مجرد عنصر من عناصر نتاج كوران ولم يطغ على العناصر الاخرى، واندمج بصورة طبيعية بالعناصر الاخرى واسهم في تنامي ابداع كوران.
لم تكن عبقرية كوران في كونه شاعراً صب مواضيع عديدة في قالب شعري وعبر بإبداع عن الام وامال شعبه والانسان وادراكهما للجمال فحسب بل في كونه ايضا شاعراً مخلصاً لفنه مدركا تماماً لرسالته الفنية..
يمكننا ان نقول من وجهة نظر الواقعية الحديثة:
كان كوران اول شاعر تمكن من ايصال مكونات ذلك النهج الى قمة سامية من وحدة المحتوى والشكل في واحدة من القمم العالية للادب الكردي..اتحد سمو الشكل والمحتوى في اشعاره في مستوى فني وادبي وجمالي متنام.. واستخدم لها لغة كردية، رصينة، سلسة ذات موسيقى جميلة، خفيفة على السمع، بل تمكن من جعل اللغة قسما مهما من جمال الشعر والعطاء.
كان النوع الشعري (بل النوع الادبي عامة) مثل عجينة حاضرة في يد كوران ، يصنع منها ما يشاء فعبر عن افكاره شعرا ونثرا، واستخدم مختلف الانواع الشعرية، وكان دقيقا وفنانا في اختيار النوع الشعري (حسب الموضوع)، وكأن الشكل يخضع عند كوران للمحتوى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

دوماً، وهذا واحد من عناصر نجاحه.
عندما نتحدث عن كوران نتذكر التجديد، والتجديد عنده هو في الشكل ، وفي النوع الادبي والوزن الجديد واللغة الرائعة، ولكن ذلك كله لاينفصل عن المحتوى، بل يخدم المضمون الرفيع.. كان الوزن الشعري للمقاطع ذو الحنين يستخدم لوصف الجمال والطبيعة.. ويسخر بالمسرحيات الهزلية من نظام نوري السعيد، المرتبط بالاستعمار والاقطاع المحلي.. اخذ بيد النشيد الكردي من الكلمات الحماسية، البسيطة الى الصورة واللوحات الجميلة، كتب الشعر للاطفال ، وخلق في صورة هلوبك ومحمود جودت شعراً البطل الجديد، وكتب الليبرتوا الاولى قصد تأسيس الاوبرا.
خلف لنا نموذجاً رفيعاً ورائداً في مجال ترجمة الشعر والنثر الى اللغة الكردية.
عبر بمجموعة مقالات عن وجهة نظره الثاقبة. العيمقة حول الادب الكردي وحدد إطار معرفة (القديم والحديث) في الشعر الكردي، وجعل من كرسي التدريس في الجامعة وسيلة لنشر المعرفة والنتاج العلمي الرصين.
واذا قارنا بعض جوانب التجديد لدى كوران مع الشعراء الكلاسيكيين أو مع شعراء القافلة الجديدة ايضا فعلينا ان نقول مرة اخرى.
كان الجزيري ونالي، مثلين لسمو الشعر، نقلا مظهر الحضارة والتجربة الشعرية لدى الشعوب المجاورة الى اللغة الكردية، ولكن عبر لغة الشعر الكلاسيكي عبر لغة ذات خليط من المفردات، اما كوران فقد عرف الناس بصور الحضارة.. عبر الشعر الكردي الاصيل عبر لغة الناس انفسهم، ووسع بذلك اطار فهم الشعر الكردي.. ومزج بين استخدام لغة الناس ورفع التذوق ومستوى التمازج مع الفن عند الناس.
برغم اعتبار رفيق حلمي لكوران واقعيا منذ زمن بعيد الا ان من المحتمل الفصل بين المرحلة الرومانتيكية والواقعية عند كوران شكلا ومضمونا.

كوران الواقعي الانتقادي

ومنذ الحرب العالمية الثانية وسقوط النازية الهتلرية وتطور الحركة الوطنية الكردية، وتبلور اتجاهه التحرري التقدمي، اخذ كوران يتطور ويتعمق اكثر فأكثر، ويتجه الى الانسان وتثمينه ودراسة مشكلاته ويرى بشاعة الحرب، فيصورها في هدية اله الحرب التي هي الدمار والجوع والموت وتشويه العذارى وتتطور الفتاة الحسناء، التي كانت عنده هيكل جمال وابنه فينوس البديعة واخت زيوس الى انسان ، يعاني بؤس الحياة وهي ضحية كبرى للمجتمع الاقطاعي المتأخر، فيفتح كوران صفحة جديدة في الادب الكردي ويتناول مشكلة العلاقات الزوجية والزواج في الريف الكردي، هذا الموضوع الذي تناوله كثيرون من الشعراء والكتاب بعد كوران بنتاج ادبي وافر، ففي مصير العشاق، يشخص الافعوان الذي يغري الاب بتزويج ابنته، من شيخ هرم، وما الافعوان الا المال، ويشخص الشاعر الظلم ويدعو الجماهير متمثلة بكورس النساء والرجال، على ضريح العاشقين للنضال ضد هذا الظلم ينتهي مصير العشاق بنهاية تراجيدية محزنة ، ولكن هذه النهاية المحزنة نفسها تبزغ في العروسة البائسة، عن إشراقة أمل وإيمان كبير بانتصار العدالة.. فإبن الراعي يحب ابنة الفلاح.. ويصبح ظل كل شجرة وكرمة، وكل شبر من الارض شاهدا على بند من بنود ذلك العشق الطاهر، وعندما تغلي الشهوة القذرة عند الاغا – الاقطاعي ويحرم ابن الراعي من حبيبته ، يبقى العاشق وفيا للعهد، ويسلك كل طريق يعرفه من طرق الانتقام فيحرق البيادر ويقطع ذيول الخيل، الى ان يلقى مصرعه بيد اعوان الاغا، ضحية لحبه فتبقى ابنة الفلاح وفية:

فتحركت أنامل الحقد على زناد البندقية
وإحترق الأمل في قلب ابنة الفلاح للابد
والان، وكل ما تراه من هبة و نعيم
تهبها ثمنا لقطرة جديدة من الدمع
قطرة تهتز امام ابواب العين السوداء
وتقول
يد الظالم تقطع مئة رأس ولا تصل الى قلب واحد.

ان كوران الذي يصل الى هذه الاعماق في البحث عن مشكلة الانسان، ويغدو مؤمناً بالانسانن مدافعاً عن قيمة يخطو خطوات اخرى الى امام ، فيخرج انسانيته من قوقعة المرأة، التي ظل فيها كثيراً، بصفتها نموذجاً للجمال ومبحثاً للمشاكل الانسانية..
ففي قصيدة صرخة العاطل، يصور الفلاح المهاجر من الريف، كيف يعصره الجوع والألم والمرض، ولايجد غير اخيه الفلاح عوناً له، ويدين الشاعر "العصر" بجريمة تجويع البشر، ولا يلبث ان يرى خطاً فاصلاً بين الظالم والمظلوم، طبقة ونظام حكم واقطاعا، ففي قصيدة "في السجن" عام ١٩٥١ يصور شاعراً اتهم بالسرقة وضمته جدران السجن، وهناك يرى اللصوص الحقيقيين يسرحون وهم ينهبون الملايين ويسرقون كدح الناس، ويرمون لصاً صغيراً، جبر على سرقة قوت يومه، وقوت عائلته في السجون، فينادي باعلى صوته:

ياضوء الشمس، ان بلاداً مجتمعها طاهر
عضو مثلي يكون فيه حرا طيبا
فردمثلي ولد للشعر والادب
لن يغدو فيها سارق نقود، جائعاً

ومع هذه اللمسات الانسانية يتناول كوران مأساة عامل النفط الذي يصوره كمن ينزل كالدود الى اعماق الابار، ليخرج سيلاً من ثروة كانت "تنهبها الشركات".

ونحن لم نصب من ثروة الكدح والنفط
غير آهات وحسرات

ويدرك كوران ان مصير الكادح لن يكون احسن من مصير ابيه، ما دام الهواء يأتينا من هذا المنفذ".
إذ ذاك وقد بدا الخط واضحاً، لايجد امامه الا ان ينحاز.

كوران الواقعي الحديث:

بعد وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨ في العراق، ومع التصاعد الثوري في البلاد، نجد انعطافاً في الاتجاه، وفي المضامين عند جملة من الشعراء الكرد امثال بيره ميرد وبيكس مثلا، وان كان هردي (في المرحلة الاولى لحياته الشعرية) ودلزار في مقدمة شعراء الواقعية الحديثة وخرج كاكه ى فلاح من صميم ذلك الاتجاه في تلك الفترة وظهرت في شعر اخول مساندة لكفاح الشعب، وسلك (ع. ح. ب) و(دلدار) وآخرون نهج التعبير عن معاناة الشعب، فإن كوران الذي كان يكتب الشعر الرومانتيكي، وعبر بداية شعره الانساني حول الحرب ورأى الجمال الواقعي في الطبيعة أجمل شيء، واصبح بعد هذه الفترة شاعر هذا النهج تماما، بل اصبح رائداً لها فمنذ ان كتب قصيدة في "السجن" كان يقول:

كنت بلبلاً، وأود ان اغرد لشعب ما بقيت حياً
وأنا أقتات على كسرة خبز يابس وأرتدي رث الثياب

ومنذ تلك اللحظة، لم يعد الشاعر يغني الا للجماهير، وهو يقتات على كسرة خبز يابسة، ويرتدي رث الثياب، بل يعيش في السجون والمنافي وتحت وطأة التعذيب النفسي والجسدي ايضاً، وكرس كوران شعره وقواه الابداعية والنضالية لخدمة مسألة شعبه والشعوب جميعا وسخر أدبه لتصوير واقع شعبه ونضاله واحلامه الواقعية عن الحياة الجديدة، وسار في مقدمة من رفعوا راية الواقعية الاشتراكية في الشعر الكردي وحقق أمنية بيره ميرد الذي كتب عام ١٩٣٥ انه (أمل مستقبل أدبنا).
ويمكن ان نحدد ميزات الواقعية الاشتراكية في شعر كوران بشئين:
التصوير العميق الفذ لمجموع حياة الشعب وجماهيره، الكادحة والفضح الساخر العميق ايضا للاستعمار وقوى الشر اجمع، وتصوير نضال الشعب وابراز البطل النموذجي للنضال والتناول الواسع والشامل لافكار هؤلاء الواقعين على النطاق الكردي والعراقي والعالمي، ثم المزج العميق للبارع للخيال الرومانتيكي والاشكال الابداعية التي استعملها في السابق مع المضمون الجديد.
لقد كرس عبد الله كوران نفسه منذ عام ١٩٥١ كليا للنضال الوطني والعمل من اجل القضية النبيلة وحلم الشعراء، قضية السلم وسار في هذا الطريق مناضلا ابيا، جريئا، وكرس نفسه لقضية الشعب وكادحيه.
ان اسهام كوران في الحركة الوطنية، وممارسته للعمل الوطني، عمقا ادراكه وقدرته على تصوير بؤس الشعب ومطامحه. ومنحاه طاقة كبيرة في رسم الطريق النضالي والمستقبل الوضاء، فلم تبق صورة كردستان المزدهرة امنية، بل اصبحت صورة واضحة الملامح، وغدت تلك الامنية العزيزة صورة رومانتيكية في التصور، ولكنها واقعية بإمكانية تحقيقها، ويملك الشاعر ايمانا راسخا بها:

آنذاك سترانا كيف نعمر الدار
ونقطع كل اعوام عشرة من التاريخ
بعام واحد
نصعد مياه الانهر الى قمم الجبال
ونقلع الصخور العاتية ونزيحها
ونزين اماكنها بحدائق

× × ×

وستفتح حدائقنا كلها زهوراً
وتتعلم بلابلنا الحانا جديدة
وتطرد معجزة الحياة السعيدة البكاء
حتى من مهود الرضع من اطفالنا

إستهدى كوران بهذه الحقيقة في كل ما كتبه من "أناشيد الصامدين" وعن الثائر والاماني العذاب لقد عكس ببراعة واتقان في هذه المرحلة، وبانتاج وافر غزير امورا شتى، فكتب عن حياة العمال والفلاحين، وعن نضال الشعب وتناول مواضيعه الرومانتيكية بأسلوب جديد، فأصبحت المرأة (هيكل جمال) و(حسن دون مثال نموذجا نضالياً)
ليست حياة الذل للفتاة الكردية حياة
وليس العسل حلو المذاق في فم الاسير
وفي العراق ربط نضال شعبه الكردي دائما بنضال مجموع الشعب العراقي وامن بالاخوة المتلاحمة الكبرى، بالدم الذي سكبه الاباء على عنق التاريخ والمقصلة عبر الكدح والالم:

اخي الغربي
آه.. كم من عباءة
كم من لباد..مزقنا
اناء كنا نعمل مسخرين للظالمين
اه كم مسحنا العرق من جباهنا
ونحن مثقلون بالاحمال
وتوجه بمحبة الى الشعب العربي:
اخي العربي يا ذا العينين السوداوين
مراً كان نصيبك ، مراً كان نصيبي
قد جرعنا المرارة من كأس واحدة
فأضحت أخوتنا عسلاً شهياً

كان قلب كوران يخفق مع كل حدث في حدود عالمنا، فكان يرى العدو واحداً ويرى رجعية كل العالم من سلاسة اب واحد، وعالمنا هذا كبيرا بحدوده، وصغيراً بتواصل مشاعر ابنائه وتضامنهم، وانه عمارة واحدة وبلدانها شقق وحجرات فيها، ويخاطب المغني الزنجي الاميركي قائلاً:

بول روبسن !بول روبسن!
يا بطل السلم، يا عندليب الاغاني
اسمك وصوتك في العالم في كل قلب ضوءان
وحتى في هذه الوديان المنعزلة
من جبال كردستان النائية
ابني الصغير، ذو السنين السبع.
يردد إسمك
كما يردد طفل اسم عم له
يسكن في الشقة الثانية من البيت
وبهذا الاحساس العميق بالوحدة النضالية ايضا، يقول كوران لإبني شهيدي السلم أتيل وجوليوس روزنبرغ (امريكا -١٩٥٤):

ففي عوض عن أبوين تجدون ملياراً
من الاباء والامهات يعدانكما
إبنين حبيبين لهما
وما أندر أحضاناً على وجه البسيطة
لن تغدو بدفئها لكما وكنا.

عن كتاب عبد الله كوران الاثار الشعرية الكاملة

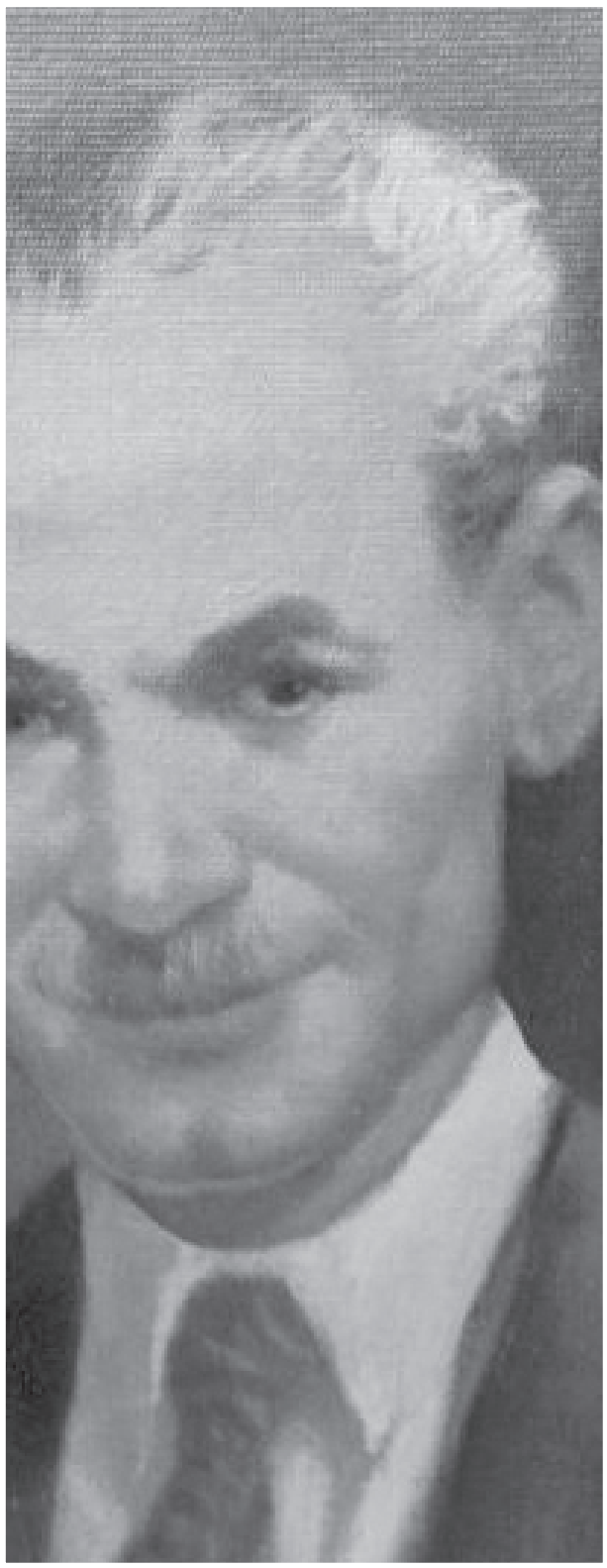

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

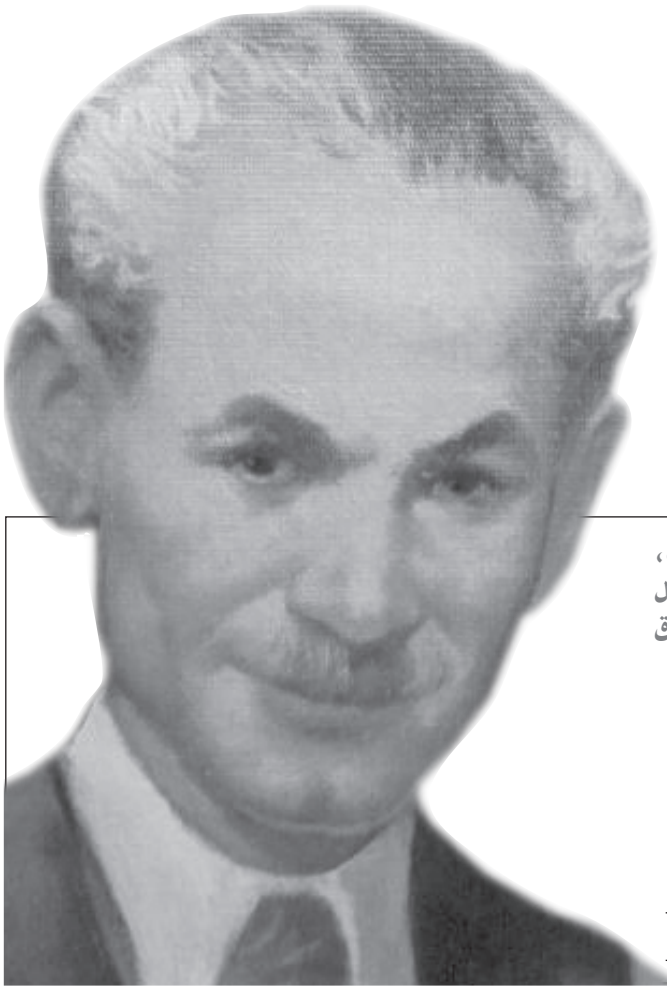

من غياهب سجون بغداد

عبد الله كوران ينشد:

يا أخي العربي ..قد جرعنا المرارة
من كأس واحدة فأضحت أخوّتنا عسلاً شهياً

أقام يوماً (تيمورلنك) إحتفالاً في وادي (كانيجولا) الأخضر المزهر، بأبهة تفوق كل وصف، وكان الشاعر السمرقندي (ماني) أحد الحضور، وكان أدناهم الى مجلس تيمورلنك. سأل تيمورلنك بعدما لعبت برأسه الخمرة... يا كرماني، بكم تشتريني لو عرضت في سوق البيع؟
فأجاب الشاعر قائلاً، بخمسة وعشرين ديناراً.
قال تيمور: بخمسة وعشرين ديناراً؟
وإستطرد تيمورلنك في كثير من الدهشة:
- ولكن حزامي وحده يساوي هذه القيمة.
فأجاب كرماني
إنما كنت افكر بحزامك وحده، لأنك انت نفسك لا تساوي فلساً واحداً.

عبدالله الخطيب

هكذا، خاطب الشاعر ملك الملوك، رجل الهول والشر تيمورلنك دون خوف، فليرفع مجد الشاعر، صديق الحق، فوق مجد تيمورلنك، ولنسبح بحمد الشعراء الذين لا يعرفون غير كلمة الحق الجميلة التي لا تهاب الجبروت والتوحش. (مقتبس عن مكسيم غوركي، حكايات من إيطاليا.)
وشاعرنا العراقي الكردي من هذا الرعيل من الشعراء الخالدين.
عبدالله بن سليمان بن عبدالله، ولد في حلبجة ١٩٠٣، في تلك المدينة العروس التي أحرقها رجل الشر بالغازات المحرقة والسامة. و(كوران) إسم قبائل من الحضر كانوا على خصام تقليدي مع عشيرة الجاف الكردية، وما ذلك إلا بارقة وعي في ذهن الشاعر الشاب ومقت للروح العشائرية والتقليدية البالية والخصام العشائري.
أكمل عبدالله كوران دراسته الإبتدائية في حلبجة، في المدرسة التي افتتحت في العهد التركي. وكان لطبيعة مدينة حلبجة التي تفاعل مع جمالها عبدالله كوران في طفولته الأولى الأثر الكبير في خلق الأحاسيس الرومانتيكية المرهفة من حب للطبيعة، وإحتواء جمالها الرائع والإندماج بها، فأصبح يحب بهجة الحياة على الرغم من البؤس واليتم المبكر الذي عاش أيامهما. ففي عام ١٩١٩ إضطر(سليمان بك) والد الشاعر إلى أن يهاجر من حلبجة الجميلة مع اسرته بعد إحتلال القوات البريطانية لها، الى إحدى القرى النائية في جبال (هورامان) وتوفي في السنة ذاتها.
قام (محمد) الإبن الأكبر لسليمان، بالإشراف على تربية عبدالله، فأدخله المدرسة العلمية بكركوك، وأكمل عبدالله ثلاث سنوات فيها، إلا أن إغتيال (محمد) في عام ١٩٢١ إضطر عبدالله الصبي الى ترك الدراسة ليعمل من أجل إعالة والدته على الحياة وكسب قوت يومه، فكان عبدالله شجاعاً صاحب إرادة صلبة في التصدي لصعاب الأمور التي واجهته وهو في قمة المعركة من أجل الوجود والعيش.
عمل كوران معلماً في عدد من قرى السليمانية (١٩٢٥-١٩٢٧)، ثم عمل في بعض دوائر الدولة. وقد كان مولعاً بالأسفار والتجوال، فسافر في أثناء الحرب العالمية الثانية الى فلسطين ليعمل مديراً للإذاعة الكردية التي فتحت هناك بترشيح من حزب (هيوا) الكردي في مدينة يافا(١٩٤٢-١٩٤٥). وقد كرّس عبدالله كوران جل وقت الإذاعة، لتوعية الناس ضد الخطر (الفاشستي) وضد الإستعمار بصورة عامة ما ضايق الإنكليز الذين أخذوا يسيئون التعامل معه، فاضطر الى ترك العمل والعودة إلى العراق، فأجبر على الإقامة في مدينة أربيل، وعمل في إحد مكاتبها محاسباً حتى نهاية عام ١٩٥٠.
يعلق الأستاذ حسين علي شانوف على ذلك قائلاً:((إن تلك السنوات نفسها إنما تشكل إنعطافاً أساسياً في نظرة الشاعر عبدالله كوران الى العالم، ونكاد لا نجد فيما نصادفه من قصائده أي أثر لفلسفة الخير المطلق والإنسانية المجردة التي كانت تطغى على أشعاره قبل هذه الفترة)).
شهدت تلك الفترة تحولاً فكرياً عند كوران، صاحبه تحول من الشعر الرومانتيكي (شعر الحب والغزل والوصف) الى الشعرالثوري والنضال الوطني، وقد كتب في تلك الفترة من الزمن يقول: ((في سنة١٩٥٠ أودعت السجن بتهمة باطلة وحرمت لمدة سنتين من الحرية بسبب قصيدة نظمتها بعنوان (اللحن الأحمر لكوريا البطلة) ضد الإحتلال الأمريكي، وبعد أن خرجت من السجن في عام ١٩٥٢ عينت رئيساً لتحرير جريدة (زين) الكردية، لقد حولت الجريدة إلى جهاز منظم ضد الإستعمار والكفاح من أجل توطيد السلم)).
تعرض الشاعر كوران بسبب كتاباته الثورية في جريدة (زين) إلى السجن والنفي و التعذيب، وقد كتب عن تلك الفترة من حياته يقول: ((يسمى خريف ١٩٥٤ عهد إرهاب (نوري السعيد) الذي كان يمارسه ضد دعاة الحرية والسلم في العراق، ففي شهر أيلول من السنة ذاتها أودعت السجن مع من اودع، و أمضيت فيه سنتين، وبعد خروجي منه في عام ١٩٥٦بقيت عاطلاً عن العمل، وفي هذه الفترة بدأت حملة إرهاب جديدة عنيفة ضد الوطنيين الأحرار لا لشيء سوى أنهم قاموا بفضح وتعرية المستعمرين الذين شنوا حرب السويس فأقتادوني إلى المحاكم (العرفية) فحكمت عليّ بالحبس لمدة ثلاث سنوات، أمضيت مدة المحكومية في سجون كركوك وبعقوبة، وعلى أثر قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ أفرج عني مع من افرج عنهم من السجناء السياسيين)).
وقد عمل عبدالله كوران بعد خروجه من السجن رئيساً لتحرير مجلة (شفق)، ثم مستخدماً بإحدى دوائر الدولة في مدينة السليمانية. وتوجه بعد ذلك إلى بغداد وعمل (محاضراً) بالقسم الكردي بكلية الآداب ومحرراً بجريدة (آزادي)، ويعود قسم رائع من إبداع (كوران) الفني والنقدي إلى تلك الفترة الرائعة من حياته الشعرية وتطوره الفكري والفني، التي داهمه فيها مرض (السرطان) الخبيث، فسافر إلى الإتحاد السوفيتي للعلاج، ولكن دون جدوى فعاد إلى الوطن، وقد توقف ذلك القلب الكبير المملوء بحب الإنسان والإنسانية وحقوقها عن الخفقان في صبيحة الثامن عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٢.

كوران في ميزان التقييم

يَعدّ الاستاذ رفيق حلمي في كتابه (الشعر والأدب الكردي) عبدالله كوران من الشعراء الواقعيين، لإهتمامه المبكر بشؤون الحياة والمجتمع متبعاً إسلوب (الواقعية الجديدة)، فيقول عنه: تحدث كوران عن (الواقع) أكثر من أي شيء ورسم (لوحات) كثيرة من حياة المجتمع الكردي، وعلى الرغم من مزجه الواقع بالخيال إلا أنه لم يخرج ذلك المزج من حقيقته، وهذه الظاهرة تطغى في أشعار ديوانه (الوردة الدامية).
ساعدت كوران في تطوره الفني والفكري معرفته اللغات المعتمدة في المنطقة التي ترعرع فيها، مثل اللغة التركية واللغة الفارسية، إضافة إلى تمكنه من اللغة الإنكليزية، وتعمقه بلغة الوطن الكردية بلهجاتها المتعددة، واللغة العربية.
إن كوران الشاعر، هو واحد من أعاظم (شعراء الأمة الكردية) في مجمل تأريخ الأدب الكردي العام، ويمكن إعتباره أكبر شاعرفي تأريخ الأدب الكردي المعاصر من حيث الإبداع للأشكال الفنية والأنواع الأدبية المختلفة التي أدى بها أفكاره المعاصرة والتراثية.
وقد سخّر طاقات وإبداعات اللغات الخمس التي يجيدها لخدمة اللغة الكردية وآدابها، فارتبط بعلاقة خلق متساو مع (حافظ)، و(الخيام)، و(عشقي)، و(أبي تراب جلي)، و(ناصر خسرو)، و(نامق كمال)، و(توفيق فكرت)،و(جلال نوري)،و(ناظم حكمت)، و(شيللي)، و(كيتس)، و(الرصافي)، و(الجواهري)، وكان تأثير هؤلاء مجرد عنصر من عناصر نتاج كوران ولم يطغ على العناصر الأخرى.
التجديد عند كوران في الشكل والأوزان الجديدة واللغة الرائعة كلٌ لا ينفصل عن المضمون في شعره بصورة عامة.
ويمكن أن نحدد مميزات الواقعية الجديدة في شعر كوران بعد وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ في العراق بشيئين: التصوير العميق الرائع لمجموع حياة الشعب وجماهيره الكادحة والفضح الساخر العميق للإستعمار وقوى التوحش والشرّ، وتصوير نضال الشعب وإبراز البطل النموذجي للنضال والتناول الواسع والشامل للأفكار (الثورية) على نطاق الشعبين (الكردي والعربي) والنطاق العالمي.
كرّس الشاعر العظيم عبدالله كوران حياته(منذ عام ١٩٥١) كلياً للنضال الوطني ومكافحة الاستعمار والعمل من أجل القضية النبيلة وحلم (البشرية) في سلام عادل يعم العالم. وقد عمّق ذلك إدراكه الإجتماعي وقدرته على تصوير بؤس الشعب ومطامحه، ومنحاه طاقة كبيرة في رسم ملامح المستقبل. فلم تبق صورة (كوردستان) المزدهرة أمنية رومانتيكية فحسب، بل أصبحت واضحة الملامح، وأمراً يمكن تحقيقه، يقول كوران:

آنذاك سترانا كيف نعمر الدار..
ونقطع كل أعوام عشرة من التأريخ بعام واحد
نصعد مياه الأنهر إلى قمم الجبال.
ونقلع الصخور العاتية ونزيحها
ونزين أماكنها بحدائق
وستتفتح حدائقنا كلها زهوراً
وتتعلم بلابلنا الحاناً جديدة
وتطرد معجزة الحياة السعيدة البكاء
حتى من مهود الرضع من أطفالنا.

ربط كوران نضال الشعب الكوردي دائماً بنضال الشعب العراقي ككل، وآمن بالأخوة التأريخية المتلاحمة الكبرى بين القوميتين الكوردية والعربية، وآمن بوحدة بلاد النهرين الخالدين، إذ يقول:

أخي العربي آه كم من عباءة
كم من لِبّاد.. مزقنا
إنا كنا نَعمل مسخرين للظالمين
آه كم مسحنا العرق من جباهنا
ونحن مثقلون بالأحمال.
أخي العربي يا ذا العينين السوداوين
مراً كان نصيبك، مراً كان نصيبي
قد جرعنا المرارة من كأس واحدة
فأضحت أخوتنا عسلاً شهياً
كان قلب كوران يخفق مع كل حدث في حدود عالمنا، فكان يرى العدو واحداً، ويرى رجعية كل العالم من سلالة أبٍ واحد.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

بيت عبد الله كوران

سأل احدهم رجلا حكيما عن الاكثر لياقة في السير في الجنازة، ابعد الله عنكم كل بلاء ومكروه، وراء التابوت، امامه، او الى جانبه؟ فأجابه الحكيم: سر حيثما تشاء، المهم ان لا تكون في التابوت.
تذكرت هذه الحكاية وامامي ابيات لعبد الله كوران يشير فيها بوجع تحذيري من ان لا يكون الكوردي والعربي حطبا لنار الاخرين، وقد جال في خاطري سيل اشرطة للتاريخ الفجائعي الذي وسم العلاقة بين الكورد والعرب في عصرنا الراهن هذا.

فاضل الخياط

تقول الابيات:
"اخي العربي
كم من عباءة تهرأت لك
وكم من شروال لي كذلك
ونحن نموت سُخرة
حاملين احجار الظالمين"
لست بالطبع في صدد الخوض في تلك العلاقة (العربية الكوردية) ولكني احاول بسعي حثيث للاحتفاء بكوران، ان القي نثار ضوء على دور المثقف في المعادلة السياسية، سيما وان رائد التجديد في الشعر الكوردي معروف كحبل مودة بين الكورد والعرب، ومن الدعاة في اشعاره كما في سيرته الى جدوى ان يتساكن الكوردي والعربي في بيت واحد، حول مدفاة واحدة، خاصة حين يشتد الجحيل في شتاء عراقنا الوقور، وحين يخضب طلعُ الثلوج هامات الشمال الباسقة.
يشير عديد من علماء السياسة والاجتماع الى انه بعد زوال عصر النفط ستنشأ دول، اول تأسيسها يكون على شبكة الانترنيت، ولاحقا في مكان فيزيائي، راسمالها المعرفة والعلم، تديرها المؤسسات الثقافية التي تملك مواردها المالية الذاتية واستقلالية قرارها وتحررها من شرائط السياسي، بل ان لها اليد العليا في علاقتها مع الاخير تأمر وتنهي كما تسول لها معرفتها، سلاحها المعلومات وشعارها قولة النفري" كلما قويت في العلم قويت في الجهل". دول ذكية تمول ميزانيتها من امتلاكها لارشيف معرفي ومعلوماتي ضخم في لغات العالم كلها (الحية والميتة). مواطنوها منتشرون في جهات الارض ولكل واحد منهم اسم وهوية ورقم وسجل وكلمة مرور (باس ويرد). ولها رئيس وبرلمان ووزارات وجيش وشرطة وعلم ونشيد وطني ومؤسسات وسفارات وحيوانات ومواقيت وتدفع رواتب وضمانات اجتماعية لرعاياها. ولكل انسان في المعمورة الحق في ان ينتمي اليها او يسعى لنيل جنسيتها بعد تقديم طلب واضبارة وسيرة حياة وكفاءات، وبعد اجتياز اختبارات السلوك والافكار والعقائد التي في جعبته. من اول شروطها ان يكون المتقدم لا عقيدة دينية له ولا آلهة غيبية، علمانيا غير اصولي او متشدد في علمانيته، لا يملك يقينا ولا ايمانا مطلقا، بل ان يكون ايمانه الوحيد الراسخ هو ان المعرفة، المعرفة وحدها هي السبيل الوحيد والاوحد الذي يقود الى منطقة الامان " الجهل التام"، غاية الانسان المثلى ومحطته الاخيرة في مشواره الكوني. سنفرد لاحقا مقالا موسعا في مواصفات "دولة المعرفة "هذه وامكان "التمهيد" لظهورها. مع حفظ حقوق التاليف و"براءة الاختراع" لصاحب هذه السطور.
في الدول المعرفية، ينسج المثقف هوية الدولة او الامة او الوطن او المجتمع على هواه، مع افتراض تسليمنا بضرورة وجود "هوية جماعية " حاضنة للهويات الفردية ليتسنى لك خلق مجتمع. الهوية في معناها الديناميكي المنفتح على الاخر/ في توصيف لهيدغر، وليس المعنى الشوفيني المنغلق الذي مصيره الانكماش والزوال، لاسيما اننا قد شهدنا غير بعيد زوال عصر تلك الهويات القومية. الفواجع المرعبة كانت مجمل ما امكن لها ان ترثنا اياه. ولأن المعرفة قوامها الثقافة، فان بنية الدولة المعرفية المتوقع ظهورها ابان زوال عصر النفط، تتأسس حتما على الثقافة وعلى آفاقها التي تتحرك اليها. ولمعرفة ثقافة الـ " نحن" لا بد من معرفة لغة الاخر وثقافته (الثقافة صفة مجتمعية اساسها ومنبعها وحاضنتها اللغة). الاخر هو كل لغات الارض وثقافاتها. كل لغة هي اسلوب تفكير وطريقة حياة، كل لغة هي عقل وفقا لعلم " الحتميات اللغوية" Linguistic Determinism. وهذا ينتهي بنا الى ان معرفة الانا امر لا يمكن تحصيله والفروغ منه، بل هو سعي لا نهائي يدوم ما دامت الحياة. وفي السياق ذاته تحضرني قولة لرامبو " الانا هو آخر". يمكن قلب القولة لتصبح الاخر هو انا. معرفة الاخر شرط اساس لمعرفة الانا. واستحبابا، اجد ميلا الى تحريف قولة سقراط الشهيرة: اعرف نفسك لتصير: اعرف الاخر كي تصل الى معرفة نفسك.

لأن المعرفة قوامها الثقافة، فان بنية الدولة المعرفية المتوقع ظهورها ابان زوال عصر النفط، تتأسس حتما على الثقافة وعلى آفاقها التي تتحرك اليها. ولمعرفة ثقافة الـ " نحن" لا بد من معرفة لغة الاخر وثقافته (الثقافة صفة مجتمعية اساسها ومنبعها وحاضنتها اللغة). الاخر هو كل لغات الارض وثقافاتها. كل لغة هي اسلوب تفكير وطريقة حياة، كل لغة هي عقل وفقا لعلم " الحتميات اللغوية" Linguistic Determinism. وهذا ينتهي بنا الى ان معرفة الانا امر لا يمكن تحصيله والفروغ منه، بل هو سعي لا نهائي يدوم ما دامت الحياة. وفي السياق ذاته تحضرني قولة لرامبو " الانا هو آخر".

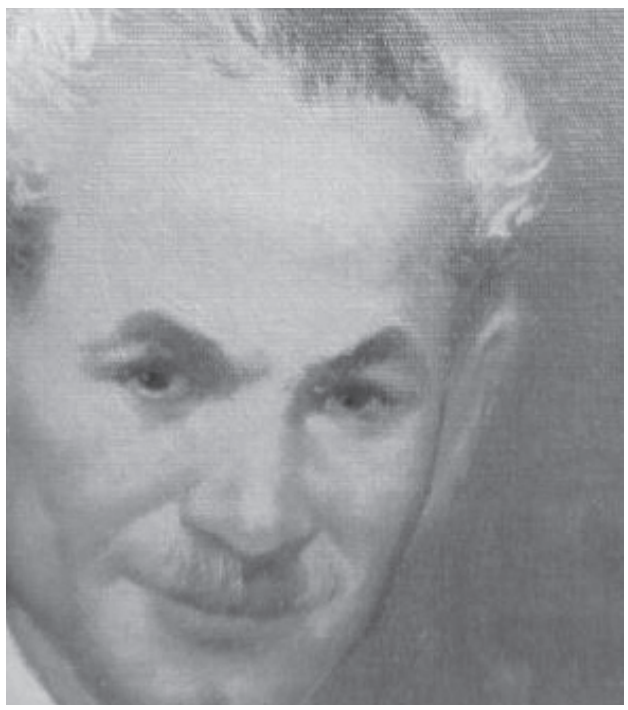

مع ظهور دول المعرفة، وارجو ان لا يحمل هذا الكلام على انه توجه في الاعراق والاجناس، بل نتحدث هنا عن (ثقافة لغة، وشعب لغة ما)، سيكون الشعب الكوردي قياسا لشعوب جغرافيتنا الساخنة على الدوام، اكثر اهلية للسبق في تشكيل تلك الدولة، ومن عناصر تلك الاهلية عوامل كثيرة، منها لكي نذكر البعض، معرفة الاخر لجهة معرفة اكثر من لغة، ليس من كوردي لا يتحدث في الاقل اكثر من لغتين، عبد الله كوران نموذجا، كان يجيد خمس لغات. الدياسبورا الكوردية والقاعدة الشعبية في نواحي العالم. العلاقات السياسية التي بناها الكورد في العقود الاخيرة مع زعماء العالم. الوعي الجماعي الغربي بقضية الاكراد المثقل بضربات معاول الضمير والشعور بالذنب منذ الغاء معاهدة سيفر. كردستان العراق الفيدرالي حيث يمكن عده برهانا جليا لنموذج دولة ديمقراطية مصغرة اثارت اعجاب الفاعليات العالمية وحظيت بتأييدها القوي. غياب المنفذ البحري وقلة الموارد الطبيعية هي حافز ايضا ودافع لتحصيل البدائل الاقتصادية المقومة للدول. ولاننسى سايكولوجية الانسان الكوردي ذاته المتصفة بالمثابرة والهمة العالية والاصرار الابدي اذا ما عزم على تحقيق امر ما، والذي يسميه اهل العربية، على عجل ودون تروٍ " العناد"، اما العامل الاساس في المقومات اعلاه، وهو اهمها على الاطلاق، عدم وجود دولة كوردية " فيزيائية" على الارض. وهنالك اسباب اخرى الا ان مرمى الكلام هاهنا يسير في جهة اخرى هي دور المثقف في بناء او لنقل ترميم العلاقة بين الكورد والعرب تمهيدا لنشوء الدول المثالية ذات الراسمال المعرفي، وهو امر لا يمكن تحقيقه الا عبر فتح قنوات ثقافية تتمثل في تأسيس مراكز وجمعيات ومؤسسات ومنتديات ثنائية اللغة (الكوردية والعربية معا). العربي هنا مطالب بالمبادرة اكثر من اخيه الكوردي، دفعا لاستحقاقات فواتير التاريخ الدراماتيكي الذي صنعته الحكومات العربية المتعاقبة سواء في العراق او سورية مع تأييد اغلب بلدان العرب، وتكفيرا عن قلة الحيلة وضعف ذات اليمين ان لم نقل الاهمال واللامبالاة. اظن ان كل عربي سوي الطبيعة يحمل في داخله الان بوادر حالة نفسية جديدة، وهي علامة خير، تتمثل في شعوره بالذنب تجاه الكوردي نتيجة الكوارث التي ارتكبتها حكوماته في حق الشعب الكوردي، يشيع في الفترة الاخيرة لدى كثير من الجيل الشاب من اهل العربية ادراك متنامٍ بان تلك " الكوارث" لم تكن ممارساتٍ معزولة وطارئة في السياق العربي، بل هي ثمرة طبيعية لوعي جماعي وبنية سايكولوجية واجتماعية مبثوثة في كل ذات " عربية" وان بدرجات متفاوتة، اضافة الى ان ادانة الجريمة فعل غير منته، فالادانة لا تبرئ صاحبها ان لم تملكْ مبدأ حقيقيتها المتمثل في دوامها واستمراريتها، وهو امر لا يتحصل الا بالسعي المستمر في التكفير عنها قولا وفعلا الى ابد الدهر.
على اية حال، اقترح هنا في هذه المناسبة الودودة ان تكون الترجمة العملية للاحتفاء بعبد الله كوران، شاعر المحبة والحياة والامل، تأسيس بيت يحمل اسم الرجل يكون مستقرا ومقاما علميا وثقافيا لمن يريد ان يتعلم اللغة والثقافة الكوردية، وان يتضمن في بعض غرفه، فسحة للثقافة والادب العربي اوالكوردي المترجم الى العربية، وايضا لغات العراق الاخرى، السريانية والمندائية والتركمانية والارمنية، هل نسيت واحدة، واذا ما بدأنا حبوا، فليكن موقعا الكترونيا " افتراضيا" في اول الطريق وفي اقصاه او في ثناياه ليصبح بيتا من جدران وشبابيك وابواب حقيقية مفتوحة لاحلامنا ورغباتنا الثقافية ولحلم كوران ذاته.
هذا البيت الحميم، بيت كوران سيكون كما اظن، اللهم ظنا دون مبالغة، بل تناميا في شهوة الحلم، النواة الخصبة لتاسيس اولِ واحدة من دول المعرفة التي استقرأنا ظهورها في القادم من الازمان: وليكن اسمها كاقتراح اولي: "دولة اهل الكتاب". ولتكن ابيات كوران ادناه هدايتنا وضوءنا الذي نسير به ونستزود منه كلما تجوهمت من حولنا الظلمات:
"قيثارة انا
اغني للحياة
سعيدا بكسرة خبز
وثياب بالية"
وعودا على بدء، فمع زوال عصر النفط، ستندلع حروب كثيرة حيث سترسم من جديد خريطة العالم والشرق الاوسط على نحو خاص، وسيكون هناك، ابعد الله عنكم كل بلاء ومكروه، موتى كثيرون وجنازات اكثر، فلنحرص، اخي الكوردي، اذا ما فرضتْ علينا الحادثات يوما ما، لاسمح الله، ان نكون في موكب جنازة، على ان لا يكون اي منا في التابوت.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

الشاعر عبد الله كوران

نجم ساطع في الشعر العراقي

حواس محمود

لدى الأكراد شعراء أفذاذ يعتبرون من قمم الشعر المعاصر عالميا ، ولكن قلما تتم الإشارة إليهم
وتتناولهم الصحف والدوريات العربية قد يكون لذلك أسباب سياسية وإعلامية تفضي إلى عدم توفر معلومات كافية لدى الصحافة العربية عن هؤلاء الشعراء ، ولكن ومهما كانت الأسباب فالأمر يدعو إلى تسليط الأضواء على بعض كبار الشعراء الأكراد الذين استطاعوا الوصول إلى قمم المجد الشعري والنضالي ، ولعل الشاعر الكردي الخالد – عبد الله كوران – أحد هؤلاء الشعراء الذين يفتخر بهم الشعب الكردي باعتباره النجم الساطع والينبوع الدافق والجبل الشامخ في الشعر الكردي المعاصر

من هو عبد الله كوران؟

هو: عبد الله سليمان ولد في " حلبجة " عام ١٩٠٤ ، درس في مدرسة العلم بكركوك عام ١٩٢١ م إلا أنه تركها بعد مقتل أخيه الأكبر ، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته فامتهن التعليم بين ١٩٢٥ – ١٩٣٧ في مدارس ابتدائية في حلبجة وهو رامان ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية عمل لدى إذاعة الحلفاء التي كانت تبث من " يافا " بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية ، ونشط كوران سياسياً وناضل من أجل الديموقراطية والسلم في ظل الحكم الملكي العراقي ألقي القبض عليه عام ١٩٥١ أول مرة مع عديد من المعارضين وظل سجيناً حتى أكتوبر ١٩٥٢ ثم عمل محرراً لصحيفة زين " الحياة " بين ١٩٥٢ – ١٩٥٤ ثم أعيد اعتقاله في خريف ١٩٥٤ وحكم عليه بالسجن لمدة سنة إضافية قضاها في " بدرة " في سبتمبر ١٩٥٦ أطلق صراحه ليعتقل مرة أخرى بعد شهرين من ذلك واستمر سجنه هذه المرة حتى أغسطس ١٩٥٨ أي بعد مرور شهر على تحول العراق إلى الحكم الجمهوري ، أصبح أقرب إلى صورة البطل في أعين الشعب والسلطة فأرسل في وفود إلى الإتحاد السوفيتي – السابق – والصين وكوريا الشمالية ، وفي بداية ١٩٥٩ تولى مهمة تحرير جريدة " الشفق " والتي تغير اسمها بعد ذلك إلى " البيان " وفي خريف ١٩٦٠ أصبح كوران مدرساً للآداب واللغة الكردية في جامعة بغداد ، وفي عام ١٩٦٢ أصيب بالسرطان وأجريت له عملية جراحية متأخرة جداً ، سافر إلى موسكو في ابريل من نفس العام لتلقي العلاج في مستشفى الكريملين وبعد ذلك في مصحة " بريجيج " ثم أعيد إلى كردستان بعد ثلاثة أشهر ، حيث توفي هناك في شهر أكتوبر من نفس العام (١)

موضوعات كوران الشعرية:

يعتبر كوران أستاذا لمدرسة الشعر الكردي الحديث(٢) ، لقد ساهم بشكل جدي في تطور الشعر الكردي ، وتغيير أوزانه وعروضه وإيقاعاته متلائماً مع الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه ، لقد دشن كوران مدرسة جديدة في النصف الأول من القرن العشرين ، ونبذ كوران عملية التقليد والتكرار وأوصل الشعر إلى قمة الإبداع وأحب كوران الجمال وغنى له وتمحور شعره حول الجمال في جانبيه : المرأة والطبيعة . لننظر قليلاً إلى بعض قصائده لنرحل في عالمه الشعري الزاخر بالرومانسية والجمال الأسئلة الفلسفية والتمرد والحزن والثورة :

في مقطع من إحدى قصائده يقول :
" يا ذكريات عمري الغابر حنانيك
لا تغرقي حبي البائس في بحر البعاد " (٣)

برومانسية حزينة وادعة يعود كوران للماضي لتداعيات ذكرياته ، ويحن لحبيبته بشوق وشغف غريبين مفعمين بالحنين إلى اللحظات الهانئة الوادعة وفي جو رومانسي جميل .
لقد وصَف كوران الطبيعة كثيراً وصوَر جمالها وروعتها ولكنه اعتبر جمال المرأة أفضل بكثير من جمال الطبيعة ، ويجد كوران أن الجمال في الإنسان هو الروح والعمل الطيب ، فالجسد سوف يفنى ويضمه القبر المظلم بين دفتيه ، وهناك جمال واحد سيخلد عبر القرون :
" ألاف من جميلات العيون ضامرات الخصور
قد ضمهن الثرى المظلم
ما كان أجمل خد من خدودهنَ المتوردة
وسواد عيونهنَ
ولكن جمالاً واحداً لن تستطيع ريح الخريف
أن تسقط أوراقه أو تطفئ خضرته الأبدية
ذلك هو الجمال النابع من الروح ومن منبع القلب
والمتدفق المنهمر أبداً " (٤)

ويكتب كوران قصيدة لتخط على لوح قبر فتاة غدر بها شاب ثري ثم أدبر عنها قتلت بيد والدها غسلاً للعار ، ويبرز كوران المأساة الإنسانية حتى تمسخ صورة " فلذ الكبد المذ بوح " في عدسة عين الأب ، وتضطر الأم لحبس دموعها وتخجل من أن تذرفها جهاراً .. إن هذا التقييم للإنسان يدفع بكوران إلى أن يرى الجمال الأكبر في النفس الإنسانية الطيبة . لقد كان كوران مع الفن مع المطالب المشروعة مع التمرد على السلطة الجائرة ، ها هو يصور صرخة الشعب بوجه الانتخابات المزيفة تضامناً مع انتفاضة ٦ سبتمبر ١٩٣٠ عندما أطلقت النار على الجماهير المحتشدة أمام سراي ساحة السليمانية للاجتماع للانتخابات المزيفة التي كان يراد لها إعداد برلمان ليصادق على معاهدة ١٩٣٠ الاستعمارية الجائرة ، ويصور كوران صورة البطل الشعبي " حلوبك " الشهيد ويقول على لسانه :
" أواه يا بلبل حديقة السراي

يعتبر كوران أستاذا لمدرسة الشعر الكردي الحديث، لقد ساهم بشكل جدي في تطور الشعر الكردي ، وتغيير أوزانه وعروضه وإيقاعاته متلائماً مع الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه ، لقد دشن كوران مدرسة جديدة في النصف الأول من القرن العشرين ، ونبذ كوران عملية التقليد والتكرار وأوصل الشعر إلى قمة الإبداع وأحب كوران الجمال وغنى له وتمحور شعره حول الجمال في جانبيه : المرأة والطبيعة . لننظر قليلاً إلى بعض قصائده لنرحل في عالمه الشعري الزاخر بالرومانسية والجمال الأسئلة الفلسفية والتمرد والحزن والثورة :

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

أيام مع عبد الله كوران

متري العاني

في احدى قصائده يقول كوران:

كنت بلبلاً، واود ان اغرد للشعب ما بقيت حياً وان اقتات على كسرة خبز يابس وارتدي رث الثياب.

ان كوران الشاعر هو واحد من اعاظم شعراء الامة الكردية في مجمل تاريخ الادب الكردي، وهو امر لا يمكن ان يختلف حوله اثنان، لقد اغنى الشعر الكردي بروائع شعره جعلته يقف في مصاف ابرز شعراء العالم امثال الجواهري وناظم حكمت وبابلو نيرودا ومايكونسكي وقبلهم شكسبير وآخرين سجلوا ابداعاتهم في سجل الخالدين.

لقد كانت المصادفة وحدها هي التي جمعتني وعرفتني بهذا الشاعر المبدع العظيم، ففي الربع الاول من عام ١٩٦٢ سكنت داراً في منطقة البتاويين في بغداد وكان يسكن معي في نفس الدار رجل اقرب الى القصر منه الى الطول نحيف الجسم غائر الخدين ابيض شعر الرأس لا يتجاوز عمره حينئذ الستين عاماً، بسيط في ملبسه وئيد في خطواته.

صباح كل يوم وعند مغادرتي الدار كنت التقيه في بعض الاحيان فنتبادل تحية الصباح كل يذهب الى مقر عمله، يتكرر اللقاء بعد العودة وتتكرر التحية حيث يدلف كل واحد منا الى غرفته. عند عودتي من الدوام بعد الظهر كنت احمل بيدي بعض الصحف والمجلات اليومية أو شيئاً من الكتب اكون قد اقتنيتها عند مروري من احدى المكتبات.

اقترب مني في احدى المرات مبتسماً وسائلاً عما احمله وراجياً اعارته بعضاً منها تكرر ذلك لاكثر من مرة واصبحنا نلتقي ونزداد اقتراباً وتفاهماً فأخذ يسألني عن اهتماماتي ومطالعاتي الادبية.

بعدها توطدت علاقتنا فكنت اخرج معه نتمشى في الشارع المشجر وكانت فيه حديقة، كان ذلك عفوياً واخذنا نتبادل الاحاديث الادبية ونتناقش في الامور الحياتية والسياسية الساخنة التي كان يعج بها الشارع العراقي كانت اراؤنا وافكارنا متقاربة ومتطابقة في كثير من الاحيان.

بعدها تبين لي اهتماماته الشعرية وحبه للشعب الكردي بشكل خاص واعتزازه بعراقيته كثيراً، واخذ يحدثني عما عاناه في حياته وبعض من مراحلها، وقد وجدته مهتماً جداً بقضية ابنه الذي كان يتحدث عنه بألم وحسرة خاصة موقف احد كبار موظفي العهد الملكي منه ومن ولده وقد استنتجت بعدها انه احد وزراء داخلية العهد الملكي الذي اتخذ منه موقفاً مناوئاً.

زودني باكثر من قصيدة من ابداعاته وكان يلقيها على مسامعي بصوته الخفيض ونحن نسير معا، كما انه زودني ببعض هذه القصائد مترجمة الى العربية من قبله.

على مر الايام ازدادت علاقاتنا توثقاً وترابطا بحيث انه كان يسعى للقائي وزيارتي في غرفتي لفترات ليست بالقصيرة، وفي واحدة من لقاءاتنا استفسرت منه عن قدم استفادته من التراث الشعبي الكردي بكتابة مسرحيات تغني الادب وتعزز مكانته فاوضح لي ان لديه اكثر من مسرحية واوبريت كان قد كتبها ونشرها وهي مستوحاة من التراث الكردي الزاخر بالعطاء ووعدني ان يزودني بها عند توفرها لديه لكن ذلك لم يحصل الا انني اطلعت عليها بعدئذ منشورة، في الآثار الشعرية الكاملة التي ترجمها وقدم لها الدكتور عزالدين مصطفى رسول.

كان عبد الله كوران خجولاً جداً لا يتحدث عن نفسه أو شعره الا قليلاً ينصت لمحدثه لا يرفع صوته اذا تحدث الى الآخرين ويصغي باهتمام عندما يتحدث معه أي انسان لا بل كان يحاول ان يقترب من محدثه احتراماً له واعتزازاً بحديثه ولم يغتب شخصاً طوال فترة تعرفي اليه ولم يتحدث بسوء حتى مع من حاول ايذاءه أو الاساءة اليه، انسان بكل معنى الكلمة شفاف بكل تصرفاته، في احد الايام جاءني ليخبرني ان لقاءنا هذا سيكون الاخير فقد قرر الانتقال الى سكن ثان ودون ابداء الاسباب، تأثرت بذلك كثيراً وطلبت منه الا يغيب عني ولكي اشجعه واحفزه على استمرار علاقاتنا الحميمة فقد بينت له اني سوف احتفظ بالمجلات والجرائد لازوده بها كلما قدم لزيارتي لكن ذلك لم يحدث مع الاسف لم اتمكن من الاحتفاظ بقصائده التي زودني بها بسبب الهجمة السوداء للحرس الفاشي بعد قيام الانقلاب الدموي المرعب في ٨ شباط ١٩٦٣ فقد تعرض جاري الى التفتيش من قبل جلاوزة النظام الفاشي بعد اقتحام الدار التي كنت اسكن فيها والعبث بموجوداته واستحواذهم على غالبية الاثاث وما موجود في الدار وفيها الكتب والمجلات والرسائل وغيرها مما كنت احتفظ به، حتى ان احدى الصور التي كانت تجمعني ببعض اصدقائي اصبحت دليل ادانة ضدي فقد صادروا حتى الصور الشخصية والعائلية لقد قضيت اياماً رائعة ومثمرة مع الشاعر العظيم والمبدع عبدالله كوران ولم يمهلني الزمن لتكملة المشوار معه فقد قرأت نعيه بعد ذلك بعدة شهور واسفت على رحيله المبكر وهو في اوج عطائه وابداعه.

ان التاريخ سيذكر الذين جاءوا الى السلطة بقطار امريكي بالخزي والعار والمذلة التي لحقت بهم مدى الدهور، ويذكر المبدعون والابطال الذين حاربوا الطغيان والجبروت بكل اعتزاز واجلال.

مجلة الاديب المعاصر ١٩٧٨

كان عبد الله كوران خجولاً جداً لا يتحدث عن نفسه أو شعره الا قليلاً ينصت لمحدثه لا يرفع صوته اذا تحدث الى الآخرين ويصغي باهتمام عندما يتحدث معه أي انسان لا بل كان يحاول ان يقترب من محدثه احتراماً له واعتزازاً بحديثه ولم يغتب شخصاً طوال فترة تعرفي اليه ولم يتحدث بسوء حتى مع من حاول ايذاءه أو الاساءة اليه، انسان بكل معنى الكلمة شفاف بكل تصرفاته، في احد الايام جاءني ليخبرني ان لقاءنا هذا سيكون الاخير فقد قرر الانتقال الى سكن ثان ودون ابداء الاسباب

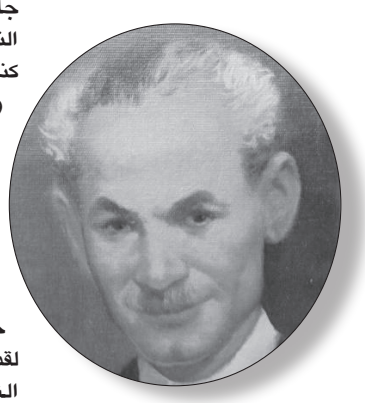

رغم إننا في فصل الخريف
فأنا أسقي لك دورك بدمائي فأنشد لرثائك
وقل لعروستي التي عاشت معي ليلة واحدة إن جاءتني
لا تقولي لي قد مات من أجل الوطن ولم يحي من أجل حبي ..
واجباً كان علي أن أفدي روحي لوطني "(٥)

ويغني كوران لعيد شعبه " نوروز " ، وموضوع نوروز يحتل صفحات مهمة من الأدب الكردي المعاصر ويندر أن تجد شاعراً كردياً معاصراً لم ينظم شعراً حول " نوروز " وكوران وحده تناول الموضوع في خمس قصائد ، إنه يرى في نوروز عيد الشعب المقدس وانتصاره عيد للحياة والنمو لكل ما في الوجود ، وهو يصور فظاعة السلطات في قصيدة " سجن التنين " ويصور الضحاك القديم وقد لبس ثوباً جديداً ثوب الملوك والحكام المعاصرين الذين كانوا يحكمون العراق بسجونهم وخرابهم ومشانقهم التي تذبح الأنفاس والآمال والأهداف ، إنه كوران إذ يصور نوروز إنما يصور في الوقت نفسه تلك القوة الديناميكية العظيمة التي تأتي وتتحول ، دماء أريقت ظلماً إنها تنهض في مطرقة " كاوا " مشعلاً ينير الدرب للشعب ويوحد الجموع ويهشم الطغيان ، ويهدم السجون ، ويخلد الشهداء ، يرى كوران في هذه النتيجة انتصار إرادة الشعب أمرا تاريخيا حتميا يسير بمعزل عن إرادة الطغاة والواقفين بالضد من عملية التطور التاريخي .

يقول كوران :

" سأصنع نوروزي وسأحتفل به
سأجعله حفلاً زاهياً
سأضع عيده المقدس
ككردي مجاهد
نوروز خضرة ربيع
بنسمة تفتح في السهول الرائعة
في هذا العيد أحتضن الورود "

وكان كوران دائماً مع الحدث ، ويعد من أبرز الأدباء الذين انخرطوا في الممارسة الأدبية النضالية، ذلك أن الأدب النضالي انطلق مع انطلاق الشعب في ثورة ١٤ تموز وقد سجل هذا الأدب البطولة الخارقة التي أبداها الشعب والجيش في الانتفاضة على السلطات الجائرة المنهارة في لحظات قد صورت أعمال أدبية عديدة هذه البطولة ، ويقف كوران في مقدمة من صورها في أعمال أدبية ، فهذا الشاعر الذي كان يعيش في عقر الزنزانات منذ سنين وكان يعبّر بقصائده العديدة مثل " أنشودة الصامد " عن بسالة السجناء وصمودهم أمام التعذيب والألم لكونهم " جنود أمناء لقضية عادلة " ويصوّر كوران منذ اليوم الأول للثورة مشاعره الذاتية مشاعر السجين الذي كان ينتظر الموت في أية لحظة وهو في قبضة النظام

" صوت بعيد
أبعد من الأفق البعيد
بالكاد يخترق الحدود
فما لونك أبيض أم أسود أم أحمر؟
تعال واقترب أكثر فأكثر
هذا الصوت وهذه البشرى السعيدة
إنه عرس الجمهورية
يا راقدا في شبر من الأرض
ابتسم في أمان
فقد ولى الموت والفناء " (٦)

ويجسد كوران في قصيدته " قصة الأخوة "الأخوة الكردية - العربية ، وذلك بنفس شاعرية ملحمية ويؤكد تاريخية هذه الأخوة وحيويتها وأهميتها في العملية النضالية كأساس متين لمقاومة الاحتكارات الاستعمارية والخطط الاستغلالية :

" أخي العربي
لمع سيف
وغرق بريقه في دماء
سالت في عنق أبي
على تراب التاريخ
وفجعنا كلانا بأبوينا
الهموم تعصر أعيننا قطرة قطرة
فتعانقنا وبكينا معا
فجعل البكاء منا أخوين "

نتاج كوران الشعري :

نشر كوران الشعر في أغلب الصحف الكردية التي صدرت من عام ١٩٣٠ وحتى مماته عام ١٩٦٢، وفي عام ١٩٥٠ نشر له ديوان " الجنة والذاكرة " و" الدموع والفن " وظهرت له دوواوين عديدة بعد رحيله ونشرت قصائده الكاملة في عام ١٩٨٠ ، ويمكن القول بأنّ شعر كوران ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية (٧) من حيث الشكل والمضمون : كان في البداية شاعرا كلاسيكيا ثم تحول إلى الشعر الرومانسي فأصبح شاعرا رومانسيا تمحور شعره في المرحلة الرومانسية حول المرأة والطبيعة ، والمرحلة الثالثة من نتاج كوران الشعري هي مرحلة الواقعية حيث أنه ارتبط – من خلال أشعاره – بقضايا النضال الوطني الديموقراطي ، قضايا الكفاح من أجل الحرية والأمن والسلام ، وكان الصوت المجسد لطموحات وآمال الجماهير العريضة وسائر الوطنيين والثوريين آنذاك ، لقد كتب في هذه المرحلة " سجن الضحاك " وفيها تناول أسطورة كاوا الحداد الذي كان قائد الإنتفاضة الكردية ضد الطاغية الضحاك

قرأ كوران لشعراء الأنجليز ويمكن أن نجد تأثير الرومانسيين في شعره ككيتس وبايرون وشيللي (٨)، ولكننا لانجد تأثير ت.س إيليوت في شعره كما يدعيه بعضهم ، وهكذا نجد أن الشاعر كوران تميز بخصائص متعددة: بشعره الغزير الغني بالمضامين المتنوعة وكذلك بكونه الرائد المجدد في الشعر الكردي بما يتلاءم مع المرحلة التاريخية وبكونه الثوري الذي ناضل والتصق بهموم شعبه ، ولقد كان الشاعر الرومانسي والسجين والمناضل ونصير السلم والمكافح من أجل قضايا الشعب العادلة إنه بحق الظاهرة النادرة في الشعر الكردي خصوصا والأدب الكردي عموما

الهوامش :

١- ملف " كوران " ترجمة هيام جاويد - مجلة الثقافة الجديدة – العددان ٥-٦ آذار ونيسان ١٩٨٩

٢- تطور الأدب الكردي – هيمن موكرياني

٣-ديوان " الفن والدموع " بغداد ١٩٥١ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي – عز الدين مصطفى رسول

٤- الواقعية في الأدب الكردي – عز الدين مصطفى رسول

٥ - المصدر السابق

٦- مجلة " هيوا " آب ١٩٥٨ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي – مصدر سابق مذكور

٧- الثقافة الجديدة مصدر سابق

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

تطور الواقعية في شعر عبد الله كوران

غالب مجيد الطويل

منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تبدأ بظهور شعر –حاجي قادري كوبي (١٨١٦– ١٨٩٢) مدرسة الشعر التنويري الديمقراطي في تاريخ الأدب الكردي. وبعد تعاظم الافكار الوطنية، والتغني بحركات التحرر الوطني والقومي، والدعوة الى التزود بالمعارف، والمدنية الحديثة من الجوانب المميزة للشعر الكردي، وكان للأفكار الاجتماعية التاريخية، اثر بالغ في نضوج شكل الشعر الحديث ومضمونها وتلاشي التقاليد والأصول الأدبية المحافظة، وتجاوز النظم الجامدة، وبدأ الوزن الهجائي موازياً مع الوزن العروضي بالتطور والازدهار.

وفي مستهل القرن العشرين وبعد تمزق الامبراطورية العثمانية، واتساع حركة النضال من أجل التحرر القومي، وتحويلها الى نضال شعبي عارم، بعد سنوات ١٩١٨– ١٩٣٢، احتلت موضوعات النضال ضد الاستعمار في الشعر الكردي مكاناً أوسع، وتركت الرومانسية كأسلوب أدبي متميز اثراً بالغا في تطور الأدب الكردي، وتمثل غنى هذا الأدب عموماً في أربع مراحل أدبية مهمة، تقترن عادة بـ (حاجي قادري كوبي) و(عبدالله كوران).

ان النماذج الفنية الرائعة لهذا الأدب، أكبر رد حاسم يدحض أفكار الشوفينيين، التي تدعو الى صهر الشعب الكردي في بوتقات القوميات الثلاث التركية والفارسية والعربية، تلك الأفكار التي تجافي كل المجافاة أبسط حقائق العلم التأريخي.

ان الأدب الكردي، لفوز عظيم أن يجسد الوجود التاريخي والصلابة والخصائص القومية لشعب جسور، تكالبت عليه النكبات والمحن. كما أنه المثل الحي للغة الكردية، ذات المزايا العديدة المتسامية بالقيم والمثل الانسانية.

ان الأدب الكردي، منظوراً إليه ككل، عبارة عن نماذج من القصائد اصابها من جمود الشعر الكلاسيكي، شكلاً وتقاليد من جهة، والظروف الاجتماعية التأريخية من جهة أخرى، ما اصاب آداب الشعوب المجاورة في ميدان الدراما والنثر المرسل من ضمور وفقر، ومن الملاحظ ان دراسة جميع المراحل التأريخية بعمق يطوّر الشعر الكردي تأريخياً.

ويتميز القرنان التاسع عشر والعشرون اللذان، أزدهر فيهما هذا الأدب الثقيل الوزن الذي يمكن تسميته بادب الحياة والكفاح من الناحيتين الفكرية والفنية، بانتصارات أدبية رائعة.

وبعد الحرب العالمية الثانية، شرعت الواقعية تتعاظم وتقوى في الأدب الكردي اكثر فاكثر، وأخذت عناصر الواقعية الاشتراكية تتطور وتزدهر في هذا الأدب بسرعة ملحوظة، ففي هذه المرحلة بدأت إبداعات (كوران) قبل أي واحد تستلفت النظر، فقد ارتفع كوران كفنان مبدع الى أعلى مستوى لتطور الشعر الكردي، وان لمشاهير النقاد الكرد الحق كله، حين اعتبروه خالق مدرسة ادبية ممتازة وشاعراً أستاذا.

لقد نشأ شعر عبدالله كوران على الأرضية الاصيلة للشعب الكردي التنويري الديمقراطي الذي ابتدع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد بدأ الشاعر منذ عام ١٩٢٠ بإبداعاته، خالقاً في الأدب الكردي المعاصر انعطافاً عظيماً.

ولد عبدالله كوران سنة ١٩٠٤ في مدينة (حلبجة) في محافظة السليمانية، فقد كان جده عبدالله بك وابوه سليمان بك شاعرين.

لقد كتب كوران تجاربه القلمية الاولى تحت هذا اللقب أيضاً، فكما تسمى كوران باسم جده عبد الله، كذلك تلقب لفترة من الزمن بلقبه أيضاً. اما هذا اللقب فقد اكتسبه جده في ديوان (عثمان باشا) رئيس قبيلة الجاف الكردية العظيمة، إذ كان كاتباً لديه ومؤدباً لأولاده في عهد الأمبراطورية العثمانية.

إن كلمة (كوران) تطلق على اكبر القبائل الكردية، ذات الشهرة التأريخية واوسعها نفوذاً في كردستان. ومنذ السنوات الاولى من شبابه، كان يدعو الى وحدة جميع القبائل الكردية. ومنذ السنوات الاولى من الطفولة سحر قلب عبدالله النقي المفتون بشهرة الشاعرية لجده وأبيه التي نظمها الشاعر في الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمره.

لقد أضافت السنوات ١٩٢٢– ١٩٢٥ عبدالله كل الوان البؤس والحرمان في الحياة، ويعتبر كوران ظروف الحياة العصيبة كأمتحان، مستخلصاً إرادته وقدرته وإباءه وشجاعته ومبادئه من التجربة العملية، ناظراً الى المستقبل بعين الأمل والتفاؤل.

عمل عبد الله كوران معلماً في عدد من قرى السليمانية، اعتباراً من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٧ واطلع بواسطة المثقفين الطيبين من الغيورين على مصير الفن والأدب.

ومن تجوال الشاعر في القرى الكردية والتنقل في ربوعها كان يحس من الاعماق بما للشعب الكردي من مصير مفجع، وتندمل في أعماقه مشاعر السخط والاحتجاج المتمردة الحادة، فلم يكن في استطاعته ان يصالح وقع الاحداث المروعة للحياة التي عاشها، ولم يكن في مقدوره أن ينام عن آلام الجراح المبرحة لوطنه المنكوب. فأضطر لترك مهنة التعليم. وعمل في دائرة الاشغال في مختلف دوائر الدولة. معيلاً عائلته بشتى الصعوبات. وخلال ممارسته مهنة التعليم لعب دوراً مهماً في تطوير اتجاهه كشاعر واقعي.

تعتبر سنوات الحرب العالمية الثانية في حياة الشاعر مرحلة النضال ضد الفاشية. وكان النضال بحزم ضد الفاشية يومئذ يفرض نفسه بإلحاح في اوساط المثقفين التقدميين لهذه البلدان كواجب قومي وعالمي لابد من تصعيده. وفي ذلك الوقت اسس الانكليز محطة لاذاعة الشرق الأدنى ضد الفاشية، فعين الشاعر عبدالله كوران مديرا للقسم الكردي وعمل فيها

عراقيون من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

في مديح شاعر الشعب كوران

حسن ناصر

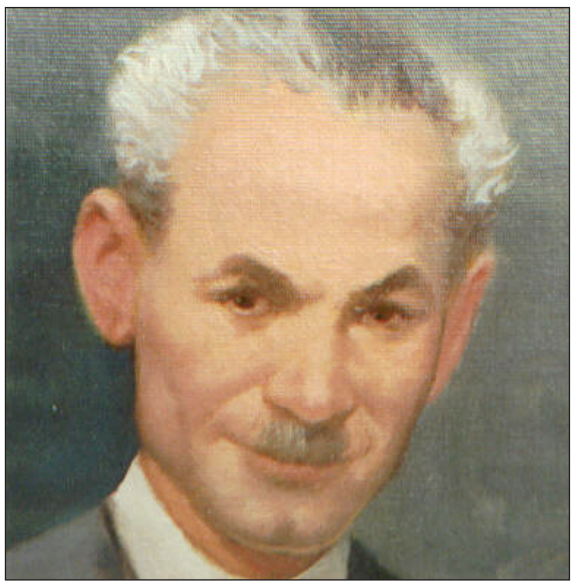

بـ(يافا) في فلسطين ابتداءً من ايلول عام ١٩٤٢ حتى نهاية مايس ١٩٤٥ وكرس معظم نشرياته الاذاعية في التوعية من أجل اليقظة القومية واستنهاض الروح الوطنية وتمجيد الانتصارات العظيمة التي احرزها الجيش الأحمر في قواته البرية السوفيتية ضد القوات الفاشية. وأبلغه البريطانيون بعدم رضاهم عنه وعن نشرياته الاذاعية وأساءوا المعاملة. فترك العمل وعاد الى العراق. وكانوا قد عادوه حتى في العراق ومنعوه من الاقامة في مدينة السليمانية. فأجبر على الاقامة في مدينة أربيل وعمل محاسباً حتى نهاية ١٩٥٠.

وكان الشاعر يخاطب الاكراد وينادي بأعلى صوته قائلا: "ألا هبوا فقد حان وقت الهمة والعهد عهد النهوض والعُلا" ويدعو شعبه الى الكفاح في سبيل التحرر والتقدم وقال في قصائده التي قرأها من الاذاعة بأعلى صوته:

"أنه وقت النهوض، أنه وقت النهوض!
الام العيش في عبودية وجمود!
كفاحاً ايها الكرد فإنه وقت تصبيب العرق والصراع والاقدام
ألا فاجتثوا من القلب ديدان النفاق"

وينظر الى المستقبل السعيد للبشرية بمشاعر الايمان الأكبر:

"في المشرق حدث كبير، والافق مخضب،
بشراك يا افق آمال الكرد
ان الطيور قد هجرت السبات والنوم

وفيما يردد القبج من قبقبه يقول:

لقد جاء يوم الهمة فالكرد لا يطيقون النوم!"

وفي عام ١٩٥٠ سجنته حكومة نوري السعيد وخرج عام ١٩٥٢، وعين رئيساً لتحرير جريدة (زين) الكردية. ولقد حولت الجريدة الى جهاز منظم ضد الاستعمار والكفاح من اجل توطيد السلم، وكان يكتب فيها للدفاع عن مصالح الكادحين الفلاحين والقرويين الاكراد، وناضل بشدة بشكل واسع ضد الاقطاعيين الاكراد والدوائر الرجعية في البلاد وضد الاستعمار. واصبح كوران أحد اعضاء منظمة الدفاع عن السلم منذ بداية تشكيلها في العراق وكان مناضلا بارزاً في سبيل صيانة السلم وتوطيده ففي عام ١٩٥٢ حيث كان رهن السجون قبل في صفوف الحزب الشيوعي العراقي عضواً، وما اكسب شعر كوران النضالي بمزيد من الغنى والعطاء (الصنم وسادن الاصنام) و(في السجون) وتحولت حماسياته السياسية الى سلاح ماض وحاسم ضد الاستعمار والطغاة المحليين، كما اصبح كوران احد الاعضاء المبدعين لحركة السلم العالمي. ثم أودع السجن في خريف عام ١٩٥٤ وخرج عام ١٩٥٦ وبقي بدون عمل لفترة عدة اشهر، ثم بدأت حملة جديدة ضد الوطنيين وتعرية المستعمرين الذين شنوا حرب السويس فحكم عليه بالحبس لمدة ثلاث سنوات ومضت محكوميته في سجون كركوك وبعقوبة.

وبعد قيام ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨، أفرج عنه مع جملة من السياسيين وزار مدناً كبيرة في عام ١٩٥٩ منها باكو والصين وكوريا وموسكو ولينينكراد، وعاد الى العراق، وفي أيام رحلته هذه، انتخب عضوا عاملاً في مجلس السلم العالمي.

وفي صيف عام ١٩٦٢، سافر الى موسكو لغرض الاستشفاء والمعالجة. إلا ان مرض السرطان الذي ابتلى به اخذ يشتد عليه يوماً بعد يوم وبعد شهرين من حياته وفي اكتوبر/ تشرين الاول من السنة ذاتها أغمض عينيه عن الدنيا الى الابد. ودفن في مقبرة (الشعراء الابطال) مقبرة (تل سيوان) الواقعة قرب مدينة السليمانية.

لخصائص شعر كوران، الجزالة والدرامية والموسيقى والوضوح والاشراق والبساطة والعمق وهي جوانب متمايزة تشهد بالتكامل الجمالي لهذا الشعر ويتولد كل ذلك من الوحدة العضوية بين الشكل والمضمون والتجانس الحي بينهما، ومن هنا انعدمت الرتابة والنسقية والابتذال. فطراوة الأحاسيس وجمال التعبير عن الافكار وحلاوة اللغة وسلاستها ورشاقتها ومتانة المنطق الجمالي تستحوذ على القارئ وتمتلك قلبه وشعوره معاً.

وبكلمة فإن كوران مثير بقدر ما هو باعث على التفكير والتأمل، إن الصميمية الجياشة المتدفقة من تلاؤم وتجانس الفكر والاحساس والشعور

> ان الأدب الكردي، منظوراً إليه ككل، عبارة عن نماذج من القصائد اصابها من جمود الشعر الكلاسيكي، شكلا وتقاليد من جهة، والظروف الاجتماعية التأريخية من جهة أخرى، ما اصاب آداب الشعوب المجاورة في ميدان الدراما والنثر المرسل من ضمور وفقر، ومن الملاحظ ان دراسة جميع المراحل التأريخية بعمق يطوّر الشعر الكردي تأريخياً. ويتميز القرنان التاسع عشر والعشرون اللذان أزدهر فيهما هذا الأدب الثقيل الوزن الذي يمكن تسميته بادب الحياة والكفاح من الناحيتين الفكرية والفنية، بانتصارات أدبية رائعة.

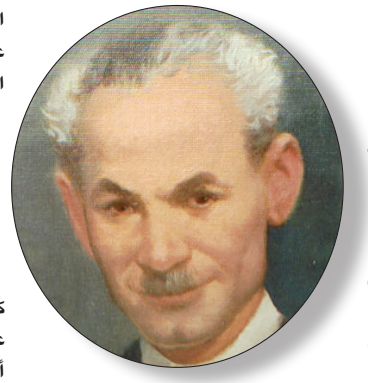

والشغاف، يمثلان بحق سحر الفن لشعر كوران. ويعد شعره مرحلة كاملة وجديدة في تأريخ الأدب الكردي المعاصر. وإن هذه المرحلة بما بلغته من مستوى مدرسة أدبية واسعة تلف حول نفسها مجمل القوى الأدبية الأساسية والتقدمية المبدعة. وقد ابدع عبدالله كوران الذي قطع مسافة زمنية طويلة عبر الرومانسية والرومانسية الواقعية تراثاً محكماً من الشعر السياسي وأغنى الشعر الكردي، بأفكار ومضامين كفنان لاهب الكلمات لحركة التحرر الوطني والحركة الشيوعية العالمية.

ان كوران الفنان مبدع وخلاق بكل معنى الكلمة، فقد أحدث انعطافاً كبيراً في مسار الشعر الكردي سواء أكان من حيث الابداع أم من حيث المفاهيم والأفكار وجسم في شعره الاغراض والاشكال الجديدة والأوزان المختلفة والاضواء والاصباغ القومية الفنية والرقة الشاعرية للغة الشعبية. وأكتسب الشعر الكردي المعاصر اكبر شهرة في الأوساط الأدبية العالمية. وسيتمتع ينبوع شعره المتدفق من أعماق الكرد وكردستان العراق بعمره الابدي طوال الدهور.

وحينما كتب قصيدته الشعرية المدونة على البطاقة المفتوحة بمناسبة عيد الاول من شهر أيار، التي كانت خالية من أي أثر للتعبير المجازي. فهي خليقة بأن تمتد نماذج ممتازة من العمل الفني البديع حينما يقول:

"إنه عيد الشعب وبطاقة تهنئة الشعوب
اثارت في كل قلب البهجة والأماني
حييت يا عيد! كما يحيى مستقبل الشعب
ليكن كلك سلاماً وحرية وهناءة
ولتكن أنت كذلك في احتفال اخوة الشعوب
مشعلاً بين المشاعل"

وعموماً فإن ممثلي الفن سواء كانوا ممن يربطون الخلق والابداع بمصير الجماهير، ويرون الفن من خلال مصلحتها أم ممن ساروا في الطريق المضاد لمصلحة الجماهير، متفقون جميعاً على صعيد الواقعية. ومن الطريف أنهم ما فتئوا يتبارون أبوا أم شاءوا في تصوير الواقعية للمرحلة المعاشة. ومن هنا كان من الطبيعي أن ينطبع شعر كوران هو الآخر بروح عصره ويحمل خصائصه الواقعية. كما ان التغني بالشعب الكردي والنضال ضد الاستعمار ومن اجل الحقوق القومية والاشتراكية، التي وجدت السبيل الى قلوب الجماهير الكردية، كل ذلك ينتظمهم جميعاً باتجاه واحد.

فلو ألقينا نظرة جدية على كوران لوجدناه فناناً تطورت شاعريته من الغزل التقليدي الى الواقعية الاشتراكية عبر طريق لإبداع طويل ومعقد.. ان في نتاجات الشاعر رومانتيكية نفسية، ويعكس اداؤه الشعري ومنطقه الجمالي وحسه اللغوي، ما هو خاص بقلمه من المميزات الذاتية، وتتلاشى نهائياً الحدود الرومانتيكية والواقعية، وما يجدر التنبيه إليه ان الرومانتيكية في شعر كوران، وإن كانت لا تستطيع أن تحافظ على قوتها وصلابتها مدة طويلة إلا أنها سرعان ما تبدأ وسرعان ما تنتهي، كأمطار نيسان، وتزف الى شعره بشائر الربيع الواقعية.

مجلة الثقافة الجديدة ٢٠٠١

ها نحن نحتفل بالشعر مرة أخرى واحتفالنا بالشعر لا يأتي معزولا عن مدياته الإنسانية والاجتماعية الراهنة بل نحن في الواقع نرى الشعر في هذا المقام باعتباره مساحة للالتقاء والمحبة، باعتباره وسيلة لتعميق فهمنا للآخرين والوقوف حيث يقفون ورؤية ما يرون. بهذا المعنى يكون الشعر جسرا للعبور الى الآخر واستكناه ذاكرته. لقد احتفلنا بالسياب في السابق مركزين على ما اجترحه من تجديد في الشعر المكتوب بالعربية ونحتفل اليوم بشاعر مجدد آخر غامر خارج التقاليد الشعرية في الكردية. لكن هذا لا يجمل ميزات كوران كلها . كان كوران مؤسسا في رؤيته لوظيفة الشعر ودوره كشاعر.

كان ثائرا متعاطفا مع الضحايا في كل بقاع الأرض ويدعو الى الأخوة والعدالة ويرى في الشعر وسيلة لنصرة الفقراء. أناشيده كما يقول الدكتور عز الدين مصطفى رسول كانت تسري سريان النار في الهشيم بين الناس في كردستان ليس لقوتها التعبيرية فقط بل لدعوتها الجريئة الى التحرر والعدالة.

إن كوران واحد من ابرز ملامح الأدب الكردي وهو الحلقة التي وصلته بالإنسانية وبتطلعات الإنسان حيثما كان. هذا في رأيي هو أهم سمات شعر عبد الله كوران الخروج من إقليمية بعينها إلى شمولية الهوية الإنسانية والتطلع ليس لتحقيق هدف قومي بل هدف انساني نبيل ومد الخيوط للاتصال بمعاناة الانسان على هذا الكوكب.

كذلك فالاحتفال بهذا الشاعر ينطوي على أبعاد أخرى. لقد كان كوران على صلة متينة بالشعراء العراقيين العرب بل لم يدخر جهدا في التعبير عن الاخوة التي تجمع العربي بالكردي. كان هذا في زمن لم تصل فيه الجرائم إلى الحد المروع الذي شهدته السنوات اللاحقة والحملات التعسفية البشعة التي مورست ضد الكرد . من يطلع على حياة كوران وخاصة مع رفاقه الشعراء في بغداد سينتبه حتما الى حقيقة مؤلمة ؛ في خمسينيات القرن العشرين كان المثقفون في العراق طليعة ترسم دروب الحوار والسلام والتكاتف لكننا نرى بعد نصف قرن خواء الساحة من هذا التوجه وسيادة العزلة والكراهية.

هل نجح المتخلفون الذين قادوا سياسة العراق لعقود خلت بعقلية عشائرية ضيقة في تهديم ما بناه المثقفون وأحالوا جهودهم الفذة الى نوع من العبث!

نرى الآن الأطراف كلها دونما استثناء تغلق دوائرها على ذواتها وتربي كراهية عقيمة لا تؤدي إلى شيء. هذه هي الفاجعة الحقة.

إن احتفالنا بكوران هو في حقيقته احتفاء بدور المثقف الذي يحاول أن يمد الجسور كي يصل إلى الآخر وأن يسمع آلامه وينصفه. هو احتفال بسيط بالمحبة بينما جيوش الطبالين تقيم في كل يوم عيدا للكراهية.

×شاعر وناقد عراقي
مقيم في استراليا

مراقبون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

عبد الله كوران . . الاتجاه نحو الواقعية

عباس بوسكاني

**إنها صورةٌ قد رَسَمتُ في خاطري
لحسناء فذة.. ولكنها، آه، دون إسم"
ثم تحوّل كوران الى رومانسية رمزية، إستحدث فيها أشكالاً غريبة عن السياق العام حينئذ، فمثلاً إستعمل لغة الحوار بين "الفتى- الفتاة" لكتابة الشعر، حيث كتب الأوبرا متعددة الأشكال مُشَبَعة بدلالات إجتماعية للارتقاء بمكانة الأنثى و إستخدامها كمفهوم شعري و كطرف اساسي في صناعة الشعر الجديد، جعلها نداً إجتماعياً متساوياً في المقام على مستوى الجدل الشعري، وإنه في قصيدة "الوردة الدامية" أعطيَت(الأنثى) كامل السلطة على العاشق**

عندما نتحدث عن شاعر بمستوى عبدالله كوران يجب علينا أن نحدد بدقة تحولاته الفكرية والمنهجية، ومن خلال هذا فقط نستطيع تأطير السياق الذى به نستقرئ شعره. وعندما نحدد السياق نستطيع التفحص في سياقات لغوية أخرى، تاريخية ومستقبلية نصوصه ونقرّ بنتاجه الشعري ودوره الريادي في التأثير للتحول الكبير الذي أحدثه في الشعر الكوردي، وتأسيسه لشعرٍ يحمل معه أبعاداً فنية أخرى تتميز عن الشعر الكلاسيكي الكوردي، ليس بتصوير العالم من الخارج ولكن بأعطائه مديات آخريات بما يُحدثه الوجود ب (أنا)ه الشعرية و سنقرر أخيراً ما إذا كان قد إستطاع أن يمنح تجربته و شعوره الفني ويذهب بلغته الشعرية الى أقصاها.

هنا و بهذه المناسبة ذات الوقت المؤطر أشك بمقدرتي على قراءة كل سياقات المنتَج الشعري لكوران سواء كونه عاش ببساطة كل حقبات تاريخه الفني وتأثر بها وتأثر شعره بها.

فقد كتب مقفىً على غرار الشعراء الكلاسيكيين:

"معوجة الطاقية، مسرعة بطباع الخجل، لا تنظرين وتذهبين على خير
أنتِ لا تحذرين من سهم آهاتٍ بؤسي، فألى أين وعلى خير؟
دموع حسراتي تُمَطر الدمَ على السهول من بعدك
وإذ أنتِ لا تنظرين الى مَربَع الورد على دربك وتذهبين
فألى أين و على خير؟"

ثم تحوَل بعد ذلك للمرحلة الرومانسية التي فيها كتب أرقى نتاجاته الشعرية واقترب من الحداثة بمعنى إنه قد وضع نفسه في مركز الكون شعرياً، في هذه المرحلة كان منصهراً بالطبيعة الكوردستانية واستطاع أن يصفها لا من الخارج فقط ، ولكنه أضاف إليها مكانة الطبيعة في الذات المتمعنة المعَذبة، إستطاع أن يكتب الغزل ويرتقي بمكانة المرأة جمالياً في الذهنية الذكورية الكوردية:

"إن رنوت للسماء، فما من شيء غير نجمة الفجر وحدَها
تُسري في قلبي مشاعرَ، بيضاً، بديعة من موضع
وترتفعُ ألف نغمةٌ ونغمة
ولكن أحلاها على مسمعي هو ذلك النغم الرقيق
نبع صاف أمام لألأة القمر
يهتَزّ فيً قعرها اللؤلؤ والحصى والتراب
لهو أجمل عندي من بحرٍ دون ضفاف
تأتي أمواجَها وتروح في مربض الشمس

يا فاتحة الشَعر، وردية الشفاه، يا ذات شعاع هادئ في النظرات
يا فتاةً جميلة، ذات خد وردي ناعم
لست آبهاً بكوني عابرَ طريقٍ، لستُ آبهاً إني مسافر
إذن، هل تدرينَ ما الذي يُقلقُني، ما الذي يُحَيُرني؟
إنها صورةٌ قد رَسَمتُ في خاطري
لحسناء فذة.. ولكنها، آه، دون إسم"

ثم تحوّل كوران الى رومانسية رمزية، إستحدث فيها أشكالاً غريبة عن السياق العام حينئذ، فمثلاً إستعمل لغة الحوار بين "الفتى- الفتاة" لكتابة الشعر، حيث كتب الأوبرا متعددة الأشكال مُشَبَعة بدلالات إجتماعية للارتقاء بمكانة الأنثى و إستخدامها كمفهوم شعري و كطرف اساسي في صناعة الشعر الجديد، جعلها نداً إجتماعياً متساوياً في المقام على مستوى الجدل الشعري، وإنه في قصيدة "الوردة الدامية" أعطيَت(الأنثى) كامل السلطة على العاشق، بهذا أحدث كوران قطيعة لغوية وثقافية مع مجتمعه ذي اللغة الذكورية والذهنية المُقَفاة، رسالة كوران للشاعر بيرَميرد شهادة تاريخية عن معاناته النفسية في وسط ثقافي أميّ لايميز إبداعه، كتب كوران:

نموذج "..... "

"الوردة الدامية" ص ٥٥

كثيرٌ من الدراسات النقدية قد كُتبَت عن عبدالله كوران، وأكثرُها كانت نتاجاً نقدياً إجتماعياً بأبعاد ماركسية. كثيرٌ من تلك الدراسات كانت متأثرة بمواقف كوران السياسية وخلقه المساحة الحيّة التي أعطت للمفاهيم الشيوعية مديات جمالية، ففي "صرخة العاطل" مثلاً يقول:

"عمل: أيها المجتمع، عمل، عمل
لداء العطالة حلٌ و دواء
عارٌ أن يكون إنسان في القرن العشرين
عاطلاً يَعْصِبُ بطنه من أجل كسرة خبز" (ص٢٢١)

ولكن وبمرور الوقت كان التأثير الستاليني للثقافة قد وجد مكانه في وعي كوران الشعري، وهنا إنحدرت الشعرية عنده من الأحساس الشمولي بالوجود وأسئلة الذات وتقاطعه مع السائد المعرفي بحدية.

رغم هذا التثوير في مفهومه الشعري عن المعرفة السائدة، فأن التثوير السياسي اليومي الذي فرضتة الحزبية والشيوعية قد فرضا عليه نوعاً آخر من التأطير ألا وهو القيد الأيديولوجي، المأساة هنا هو القدر- الفخ الذي وقع فيه كوران والذي كان قد كسر طوق الشعرية المقفاة السائدة ليقع في

طوق الشعرية الأيديولوجية، فمثلاً "رسالة الكورد الى المهرجان الرابع للشباب والطلبة في بخارست" و "طريق لينين" و "موسكو الجميلة" أمثلة قليلة عما فرضته الأيديولوجيا على الشعرية الكورانية ،حيث في رأيي انه إخفاق مؤسف لشاعر كان أقرب من الحداثة الشعرية أثناء تجاربه الرومانسية الرمزية، اليوم نقرأ بأن الواقعية ،و كما سماه ستالين في ما بعد بواقعية إشتراكية قد أضرّت بمسيرة كوران الشعرية وجعلته يُخضع الشعر للأيديولوجيا حينها، لا أن يخضع الكون كله لتجربته الشعرية.

رغم إن كثيرا من الدراسات المحبذة للتوجهات اليسارية و تقييماتها الاجتماعية للشعر التي تسمي كوران وصفياً ب "قمة الشعر"، أرى بأن هكذا تقييم يفتقر الفهم الشمولي الحداثوي للشعر. كوران قد أحدث القطيعة مع ما سبقة من الشعر الكلاسيكي شكلاً و محتوىً و لكنه كما بدر شاكر السياب لم يتخط حاجز التفعيلة و موسيقاها:

"أيها الخريف، أيها الخريف
أيتها العروسة الشقراء
أنا كئيب و أنتِ حزينةٌ
كلانا في الهم سواء
مني الدموعَ، ومنكِ أمطارك
مني آهاتيَ، ومنك رياحَك القارسة
مني الهم، ومنك سحائب بكائك
فلن تنتهي: إستغثتني ونداؤكِ
أبداً أبداً
يا خريف، يا خريف" (ص ١٨٧)

ما كُتب سابقاً عن كوران أظهر أهمية شخصية كوران و علاقته المباشرة بشعره، ثوراته على التقاليد البالية، فترة سجنه و نضالاته السياسية قد وفرّت مساحة جيدة من القبول النقدي لدى الكثيرين وخاصة عند النقاد الماركسيين الذين كانوا رواد الحقبة حينها. مع إن لشخصية الشاعر ومراحل تكّونه وتصقله الثقافي أهمية محددة. ولكن المعيار الحقيقي لخلود النص الشعري ليس في العلاقة الجدلية بين خالق الشعر و شعره، ولكن كما يقول فوكو:

"تحليل العمل الأدبي من خلال بنيانه ومعماره و شكله المكَوَن والكشف عن الحركة الداخلية في النص"

مستندين إلى تنظير كهذا لابد لنا أن نتعارض ونتقاطع مع الكثيرين الذين خلّدوا (كوران) متأثرين بسيرة حياته ونضاله الأجتماعي والسياسي. وهنا عملية خلق جديدة عن التصادم بين عملية قراءة النص نقدياً وعلى مفهوم رولاند بارث البائّة في "موت المؤلف" و ريادة النص بذاته و عن الموقف الذي يكشف عن لإجتماعية الناقد. مع إن الناقد المعاصر هو قارئ يدخل النص من الخارج لكن أحكامه ستكوّن ضمن مجموعة مفاهيم إجتماعية محددة، وهذه الأحكام لا تخلو من التأثير لخلق أفكار ومواقف جديدة، وقد يؤسس بشكل غير مباشر لتكوين مفاهيم جديدة.

أخيراً، الحديث عن عبدالله كوران يحتاج الكثير من البحث و التحليل، فسيرة حياة هذا الشاعر و نضاله الاجتماعي الدؤوب قد جعلاه قطباً مهماً في التعارض الذي يتمثل بين المعرفة والمجتمع في مرحلة من مراحل التحولات المعرفية. ثم إن الشرخ العظيم الذي أحدثه في المنظومة اللغوية أدى به الى التأسيس الجديد للغة شعرية حّية جديدة كانت كالرَحم التي خرج منها الجيل الجديد من شعراء الكورد الكبار. تأثير كوران مايزال كبيراً من خلال الشفافية الكبيرة و الرؤية الجديدة الذي منحه لدور الطبيعة في الشعر ومكانة الشعر أمام الطبيعة التي تجاوزت المعاني المتعلقة بالمكان كجغرافيا محددة لوطن.

"رغم أن القافية تضيق بمللي المتّسع
فأن عمراً واحداً من الهم تكفيه آهة باردة" ص ١٠١

عن مجلة كلكامش الالكترونية

ما كُتب سابقاً عن كوران أظهر أهمية شخصية كوران و علاقته المباشرة بشعره، ثوراته على التقاليد البالية، فترة سجنه و نضالاته السياسية قد وفرّت مساحة جيدة من القبول النقدي لدى الكثيرين وخاصة عند النقاد الماركسيين الذين كانوا رواد الحقبة حينها. مع إن لشخصية الشاعر ومراحل تكّونه وتصقله الثقافي أهمية محددة. ولكن المعيار الحقيقي لخلود النص الشعري ليس في العلاقة الجدلية بين خالق الشعر و شعره، ولكن كما يقول فوكو:
"تحليل العمل الأدبي من خلال بنيانه ومعماره و شكله المكوَن والكشف عن الحركة الداخلية في النص"

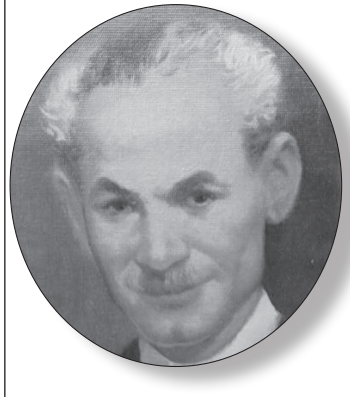

من رموز الثقافة العراقية

عبد الله كوران

زينب عثمان زنكنة

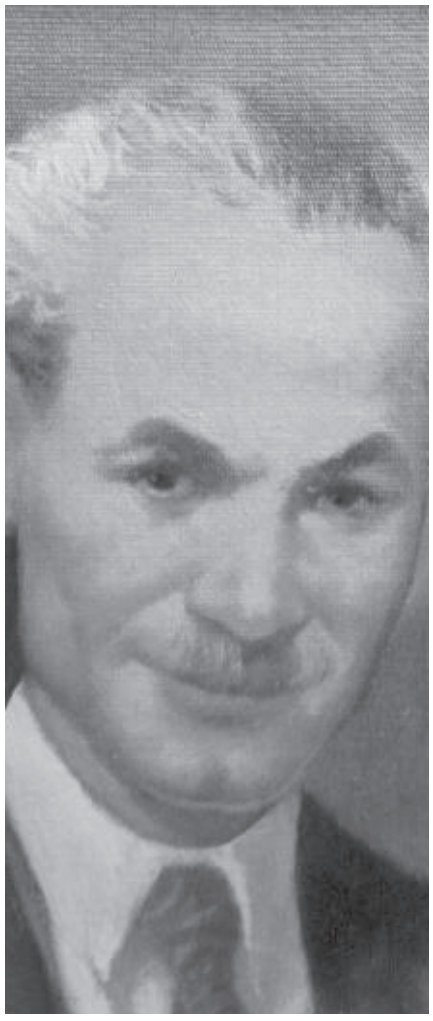

يعتبر عبد الله كوران من أوائل مجددي الشعر الكردي العراقي، اضافة الى أنه مناضل وطني يساري كافح بشعره سنوات الفترة الملكية من أجل حق العراقيين في الديمقراطية والعدالة. وقد عبر دائما في شعره عن اعتزازه بأخيه العراقي الناطق بالعربية.

اسمه عبد الله سليمان ولد في (حلبجة) عام ١٩٠٤، درس في مدرسة العلم بكركوك عام ١٩٢١ م إلاّ أنه تركها بعد مقتل أخيه الأكبر، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته فأمتهن التعليم بين ١٩٢٥–١٩٣٧في مدارس ابتدائية في حلبجة وهورامان، في أثناء الحرب العالمية الثانية عمل لدى إذاعة الحلفاء والتي كانت تبث من (يافا) بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية.

كان لوثبة كانون ١٩٤٨، وانطلاقة موجة التجديد في الشعر العربي على يد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وبلند الحيدري، دورهما في رسم ملامح شعر كوران، الذي صار - بجانب الايقاع الجديد - يؤثرمواضيع غير تقليدية مثل المرأة والوطن والحرية. كما راح يثمّر إجادته خمس لغات في إطلاق إبداعه، وفي تثوير اللغة الكرديةوآدابها. ونشط كوران سياسياً وألقي القبض عليه عام ١٩٥١ أول مرة مع عدة معارضين وظل سجيناً حتى١٩٥٢ . عمل محرراً لصحيفة زين (الحياة) بين ١٩٥٢ –١٩٥٤ ثم أعيد اعتقاله في خريف ١٩٥٤ وحكم عليه بالسجن لمدة سنة إضافية قضاها في (بدرة) في أواخر ١٩٥٦ أطلق سراحه ليعتقل مرة أخرى بعد شهرين. استمر سجنه هذه المرة حتى آب ١٩٥٨ أي بعد مرور شهر على تحول العراق إلى الحكم الجمهوري، أصبح أقرب إلى صورة البطل في أعين العراقيين والسلطة فأرسل في وفود إلى الإتحاد السوفيتي السابق والصين وكوريا الشمالية. وفي بداية ١٩٥٩ تولى مهمة تحرير جريدة (الشفق) التي تغير اسمها بعد ذلك إلى (البيان) وفي خريف ١٩٦٠ أصبح كوران مدرساً للآداب واللغة الكردية في جامعة بغداد. وفي عام ١٩٦٢ أصيب بالسرطان وأجريت له عملية جراحية متأخرة جداً، سافر إلى موسكو في نيسان من نفس العام لتلّقي العلاج في مستشفى الكريملين وبعد ذلك في مصحة (بريجيج) ثم أعيد إلى العراق بعد ثلاثة أشهر حيث توفي في شهر تشرين الاول من نفس العام.

هذه مقاطع مختارة من قصائده :

آه أخي العربي
كمٍ من عباءةٍ
كم من لبّادٍ
مزقّنا
أنَ كنانعمل بالسخرة للظالمين
آه كم مسحنا العرق من جباهنا
ونَحن مثقلون بالأحمال
أخي العربي
ياذا العينين السوداوين
مُرّاً كان نصيبك
مُرّاً كان نصيبي
قد جرعنا المرارة من كأس واحدة
فأضحت أخوتنا عسلاً شهيّاً

× × ×

يا ذكريات عمري الغابر حنانيك
لا تغرقي حبي البائس في بحر البعاد

× × ×

آلاف من جميلات العيون ضامرات الخصور
قد ضمهن الثرى المظلم
ما كان أجمل خدمن خدودهنَ المتوردة
وسواد عيونهنَ
ولكن جمالاً واحداً لن تستطيع ريح الخريف
أن تسقط أوراقه أو تطفئ خضرته الأبدية
ذلك هو الجمال النابع من الروح ومن منبع القلب
والمتدفق المنهمر أبداً

× × ×

أواه يا بلبل حديقة السراي
رغم إننا في فصل الخريف
فأنا أسقي لك دورك بدمائي فأنشد لرثائك
وقل لعروستي التي عاشت معي ليلة واحدة إن جاءتني
لا تقولي لي قد مات من أجل الوطن ولم يحي من أجل حبي ..
واجباً كان علي أن أفدي روحي لوطني

× × ×

أخي العربي
لمع سيف
وغرق بريقه في دماء
سالت في عنق أبي
على تراب التاريخ
وفجعنا كلانا بأبوينا
الهموم تعصر أعيننا قطرة قطرة
فتعانقنا وبكينا معاً
فجعل البكاء منا أخوين.

جريدة التآخي ٢٠٠٤

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

عبد الله كوران

شاعر الانسانية والمحبة والجمال

ولد الشاعر الخالد كَوران في مدينة حلبجة عام ١٩٠٤.
تـوفي والده وهو في صـباه قبـل انهائه الدراسـة الابتدائية حيث أضطر لتركهـا. لكنه عاود الدراسة في المدرسـة العلمية بكركوك عام ١٩٢١.
عمل معلما في أرياف كوردستان لفترة من الزمن.
نقل إلى دائرة النقل والمواصلات.
سافر إلى فلسطين في أثناء الحرب العالمية الثانية ليعمل مديراً للقسم الكوردي في إذاعـة الشرق الأدنى في مدينة يافـا بترشيح من حزب (هيوا) الكوردي من (١٩٤٢-١٩٤٥)
من خلال عمله في تلك الإذاعة كان كَوران يقوم بتحريض الجماهير الكوردية ضد النازية.

د. صلاح كَرميان

وقد كرّس جل النشريات الإذاعية لتوعية الناس ضد خطر النازية بصورة خاصة وضد الإستعمار بشكل عام. مما ضايق الإنكليز الذين أخذوا يسيئون التعامل معه. فاضطر الى ترك العمل والعودة إلى العراق، فأجبر على الإقامة في مدينة أربيل، وعمل في احد مكاتبها محاسباً حتى نهاية عام ١٩٥٠. اعتقل مرات عديدة في الاعوام ١٩٥١، ١٩٥٤ وظل بعد ذلك مراقباً من قبل السلطات، ثم اعتقل وسجن لمدة سنة واحدة بتهمة نشاطه مع مجموعة انصار السلام. واعتقل مرة أخرى إثر مشاركته في تظاهرات ضد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وبقى متنقلا بين السجون لمدة ثلاث سنوات. فمن سجن السليمانية الى سجن كركوك ثم سجن الكوت وبعقوبة ونقرة السلمان والنفي إلى قضاء بدرة حتى قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

استعاد حريته بعد ثورة تموز و عمل مستخدماً في دائرة الإسكان في السليمانية. وأصبح مسؤولاً لتحرير مجلة "به يان" أي الشفق.

طرد من عمله في دائرة الإسكان بحجة تغيبه عن الدوام، في حين انه كان في مشاركة فعالة في مؤتمر نقابة المعلمين الكورد في شقلاوة.

ثم انتقل الى بغداد وتولى تحرير جريدة آزادي (الحرية) وعين محاضراً في قسم الأدب الكوردي - كلية الآداب (جامعة بغداد).

أحدث كَوران ثورة في الشعر الكوردي المعاصر، مثله مثل الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب والمناضل التركي الشاعر ناظم حكمت.

لكنه وفي ذروة تألقه الادبي وابداعه الفني أصيب بسرطان المعدة وعلى اثرها اجريت له عملية جراحية في عام ١٩٦١.

سافر بعدها إلى الاتحاد السوفيتي السابق للعلاج ولكنه رجع إلى وطنه دون أمل في الشفاء وهو يكابد معاناته ورحل إلى عالم الخلود يوم ١٨ / ١١ / ١٩٦٢.

لكَوران عدة مجموعات شعرية أهمها :

(به هشت و يادكَار) أي الفردوس والذكرى.

(فرميسك و هونه ر) أي دموع و فن.

(لاوك و بـه يـام) أي المـوال والخطاب.

(سروشت و ده رون) أي الطبيعة وأعماق النفس.

وله ترجمات من الأدب العالمي.

قد لا يكون في الطين
ما يُغوي البذرةَ على الإنفلاق...
ولا في النهر
ما يُغري المِحَّارَةَ بمغازلة الساحل...
ولكنْ حتماً، هنالِك محراثٌ
قادر على عقد الألفة بين الطين والنهر..
وبين المِحَّارة والبذرة
مثلما يعقد العشقُ الإلفةَ بين القلب والقلب
ومثلما تعقد قمصانُ الشغيلة
الالفةَ بين زرقة النهر
واخضرار الحقول...
ليقوم حبلٌ من المسّرات
يمتدُّ من قمة جبل (بيره مكرون)
الى آخر نخلة في (جيكور)
ننشر عليه راياتِ أعيادنا
مُرددين أناشيد (عبدالله كوران)
وترانيم (بدر شاكر السياب)

كان ذلك مقطعا من قصيدة بعنوان (إمتـلاء) للشاعر يحيى السماوي، ارتأيت أن استهل الحديث عن حياة شاعرنا الخالد كَوران الذي فاق شهرته الوسط الثقافي والجماهيري الكوردي، وعـن مدرسـته الشـعرية وتجربته الريادية في المجالات الادبية والثقافية الاخرى. لم يكن كَوران شاعراً مبدعاً ومثقفاً واعياً فحسب بل كان في نفس الوقت صحافياً ناجحاً وكاتباً مسرحياً بارعاً ومترجماً لروائع شعراء كبار، حيث كان يجيد عدة لغات: كالعربية والفارسية والتركية والانكليزية.

تميزت حياة الشاعر كَوران بالبؤس والحرمان. فقد عاش طفولة بائسة بعد رحيل والده، حيث اضطر الى ترك الدراسة والرحيل من بلدته حلبجة. وانتقل الى كركوك بمساعدة أخيه الاكبر ليدخل المدرسة العلمية فيها.

بعد خوضه لتلك التجارب المريرة، واكتسابه لخبرات متعددة في اثناء عمله معلما في الريف الكوردستاني لاكثر من عشر سنوات، وتفاعله مع الناس والطبيعة الخلابة، ومن ثم انتقاله للعمل في بعض الدوائر الرسمية. انتسب للعمل وكما أسلفت، للعمل مديراً للقسم الكوردي في إذاعة الشرق الادنى في مدينة يافا بفلسطين، التي اسسها الانكليز لمواجهة الدعاية النازية في اثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت تلك الفترة تجربة مهمة في حياة الشاعر الخالد.

ولكنه اضطر الى ترك الدراسة ثانية بعد اغتيال اخيه الذي كان يعيلهم، للبحث عن العمل لمواجهة صعوبات المعيشة ورعاية أمه. ولكن رغم تلك الظروف الصعبة التي واجهها في مسيرة حياته، الاّ ان كَوران تصدى لها بشجاعته وقدرته وتفاؤله بالمستقبل واعتبرها تحدياً كبيراً وامتحاناً لارادته واستمر في تحديه بمواصلته الدراسة والعمل وتحقيق ذاته.

وبعد خوضه لتلك التجارب المريرة، واكتسابه لخبرات متعددة في اثناء عمله معلما في الريف الكوردستاني لاكثر من عشر سنوات، وتفاعله مع الناس والطبيعة الخلابة، ومن ثم انتقاله للعمل في بعض الدوائر الرسمية. انتسب للعمل وكما أسلفت، للعمل مديراً للقسم الكوردي في إذاعة الشرق الادنى في مدينة يافا بفلسطين، التي اسسها الانكليز لمواجهة الدعاية النازية في اثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت تلك الفترة تجربة مهمة في حياة الشاعر الخالد. ويقول كَوران عنها: (كان النضال آنذاك يفرض نفسه في أوساط المثقفين التقدميين كواجب قومي وعالمي، وكان التحالف مع الانكليز من متطلبات واقع النضال ضد الفاشية). وكان كَوران يكرّس معظم النشرات الاذاعية لتوعية الناس وبث الروح الوطنية فيهم. واستغل الاذاعة لتمجيد انتصارات الجيش الاحمر السوفيتي على القوات النازية. وهذا ما دعا الانكليز الى البدء في مضايقته واساءة معاملته، مما اضطر الى ترك العمل في الاذاعة. وحسب الباحث حسين علي شانوف: شكلت تلك التجربة انعطافاً كبيراً في حياة كَوران وأفكاره ونظرته الى قضايا العالم والقت بظلالها على قصائده وأعماله الادبية والاناشيد التي نظمها لحث الجماهير وتوعيتهم. وساهم في تحولـه من الشعر الرومانسي الى الشعر السياسي الذي كان يدعو الناس من خلاله الى التصدي للنظام الرأسمالي والتدخل الاستعماري في شؤون بلدان العالم والى النضال من أجل السلم والحرية وبالاخص عند توليه رئاسة تحرير جريدة (زين) حيث حولها الى منبر لفضح النيات الاستعمارية.

وتميزت قصائد كَوران بدرجة عالية من الجمالية والبساطة بعيداً عن اقحام الكلمات والعبارات المزخرفة، وكانت بمثابة تصوير فني للواقع، يقدمه على شكل لوحات جميلة تمثل جوانب من الحياة الاجتماعية ووصف للطبيعة والجمال. وابدع كَوران كفنان في تصوير حياة الشعب الكوردي والطبيعة الكوردستانية وجمال المرأة، واستخدم قلمه بدلاً من الفرشاة والكلمات عوضاً عن الالوان لرسم لوحات تعبيرية رائعة. استطاع كَوران الارتقاء بالشعر الكوردي بمضامينه الاجتماعية الى مستوى فكري رفيع وابدع في اغنائه بأحدث الاساليب، مخترقاً الافاق بندائه الانساني وراسماً من خلال قصائده صورة شعبه بواقعية فريدة. ومن أهم خصائص الاسلوب الشعري لديه هو ذلك التناغم الرائع بين الفكر والاحساس فضلاً عن وحدة الشكل والمضمون. كما ان بساطة أسلوبه وسهولة التعابير اللغوية التي كان يستخدمها في صياغة قصائده هي كذلك جوانب مميزة تعكس ابداعه الفني وعبقريته.

يقول البروفيسور عزالدين مصطفى رسول عن شاعرية كَوران وعبقرية:- (لم تكن عبقرية كَوران في كونه شاعراً صب مواضيع عديدة في قالب شعري وعبّر بابداع عن آلام وآمال شعبه

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

بين الشعر وقصيدة النثر
عند (عبد الله كوران)

جمال خضير الجنابي

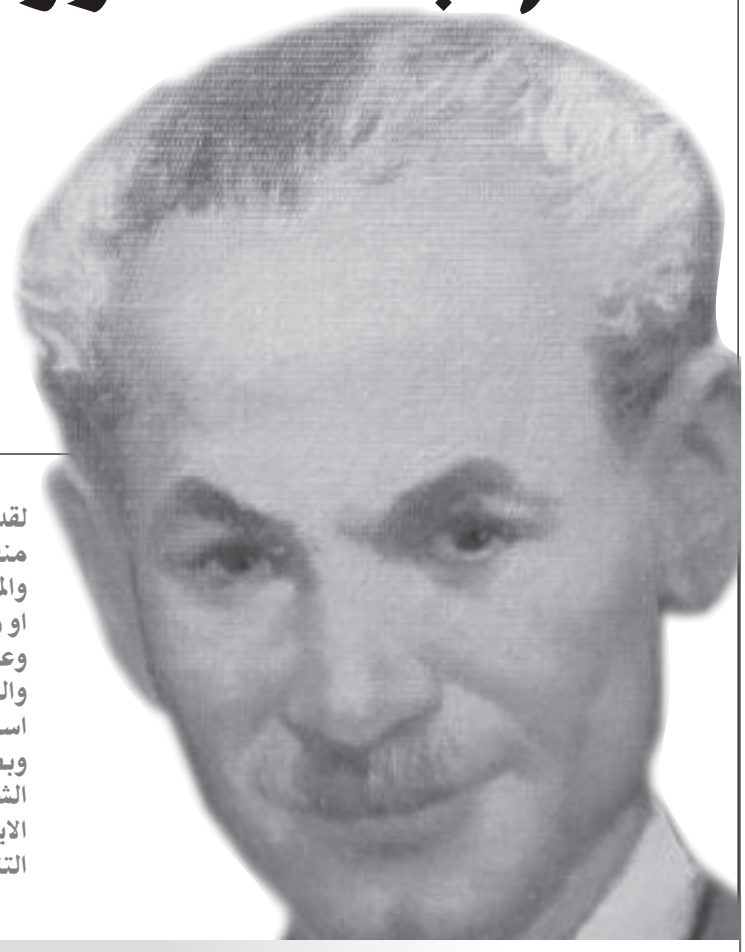

لقد اكدت تجارب جميع الشعوب وحتى البدائية منها، ان الشعر يقترن اقترانا وثيقا بالايقاع والموسيقى الشعرية وان الايقاع ليس شيئا عرضيا، او زينة خارجية يمكن طرحها بسهولة، وعلى الرغم من ثراء الدراسات والبحوث الجمالية والنقدية العالمية والعربية اماطة اللثام عن الكثير من اسرار الشعر الداخلية الا انها لم تكشف بشكل كامل وبطريقة مقنعة الدور الخطير الذي يحتله الايقاع الشعري في التجربة الشعرية، ولماذا يكتسب هذا الايقاع انساقا موسيقية وعروضية مختلفة حسب التنوع في التجارب والمواقف الشعرية نفسها .

والانسان وادراكهما الجمال فحسب .. بل في كونه أيضا شاعراً مخلصاً لفنه، مدركاً تماماً لرسالته الفنية).

مما تجدر الاشارة اليه هو نبوغ وعي كَوران وعصرية ثقافته وتجاوزه للعقد والامراض الاجتماعية. فمثلما كان تقدمياً ومعاصراً في المجال الادبي والثقافي، كان كَوران رائداً وطليعياً في المجال الاجتماعي، وكمثال على ذلك، تمسكه بلقب (كَوران) الذي اشتهر به، بعد أن أطلقه عليه الشاعر الكبير "بيره ميرد" رغم أن كَوران هو اسم لقبائل كوردية كانوا في تناحر ونزاع مع عشيرة الجاف التي ينتسب اليها الشاعر.

يمكن القول بدون تردد، ان كَوران يُعدّ أستاذاً لمدرسة الشعر الكوردي المعاصر حيث رفض التقليد والمحاكاة وقام بانقلاب في الشعر الكوردي وساهم مساهمة جادة في اغنائه والارتقاء به إلى قمة الإبداع والى مصاف الشعرالعالمي الحديث، وبما يلائم الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الكردستاني.

يقول الباحث الراحل رفيق حلمي: ان كَوران اتّبع أسلوب الواقعية الجديدة لانه كان يتحدث عن (الواقع) أكثر من أي شيء آخر ورسم (لوحات) كثيرة من حياة المجتمع الكوردي، وعلى الرغم من مزجه الواقع بالخيال إلا أنه لم يخرج ذلك المزج من حقيقته.

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اتخذ كوران من منهج الواقعية الاشتراكية مسارا ، حيث يرى الكاتب علوان السلمان بأن كَوران (كان يكتب بهذا الجو النفسي – الثوري بعد أن فرضت الواقعية نفسها عليه مقتنعاً من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٢ إذ شكلت هذه السنوات منعطفا جديدا في اعماله الشعرية. واستطاع كَوران تصوير المأساة الانسانية تصويراً عميقاً وفضح قوى الشر والاستعمار وعمل على إبراز البطل الانموذجي، فكتب عن العمال والفلاحين ونضال الشعوب، وصور المرأة وطناً وأرضاً وحبيبة). فهو يقول في احدى قصائده:

قل لعروسي تلك التي مضى على زفافها
ليلة واحدة .. لو وقفت على نعشي
أن لا تقول: انه ضحى بنفسه لأجل الوطن
ولم يفضّل العيش من أجل عشقي
يحتّم الواجب علي، أن أفدي وطن
ترعرعتِ في أحضان جباله ووهاده
ويجسد كوران الأخوة التاريخية بين الشعبين الكوردي والعربي وأهميتها في النضال المشترك ضد المتربصين باستقلال الوطن في قصيدته " قصة الأخوة " حيث يقول في احد مقاطعها:

أخي العربي
بريق سيف الظالم اصبح باهتاً
في تلك الدماء
التي سالت على رمال التأريخ
من عنقي أبوينا
وفجعنا بمقتلهما
وانهمرت الاحزان من مقلتينا
وتعانقنا وبكى كل منا الآخر
فجعل البكاء منا أخوين
أخي العربي
يا ذا العينين السوداوين
كانت قسمتك مرة، مثلما كانت قسمتي
و تجرعنا المرارة من كأس واحدة
جعل أخوتنا شهية كما العسل

ويخيل لي ان من اخطر اسرار الشعر غير معلنة تلك الجذوة الايقاعية والموسيقية السرية التي تمتلئ بها القصيدة والتي تجعل من اللغة الاعتيادية لغة شعرية متوترة ومشحونة بكهيربات مستفزة وغير مرئية وهذا ما نراه في قصائد الشاعر(عبد الله كوران) فهي لها قدرة على التأثير على المخيلة والسمع والاعصاب بطريقة مذهلة رغم ما تفقده من جمالية التكوين، من نقلها الى لغة اخرى .

ففي قصيدة(ايتها الصبية الحسناء) التي نقلها الى العربية السيد(محمد صابر محمود) يقول :

(الا ايتها الصبية الحسناء..
يا ذات الحسن والجمال
علام تقذف بك اضاليل الدل والبهاء
الى سماوات من العجب والكبرياء
لن تدوم الملاحة والرواء..
لاحد ابد الدهر..)

فلابد اساسا من توفر مقومات الخطاب الشعري الابداعي بما فيه من(شعرية تجعله يختلف اساسا عن الخطاب الاعتيادي، وحتى عن الخطاب النثري، فالخطاب الشعري بوصفه(رسالة) يرتد نحو ذاته لتفجير(الوظيفة الشعرية) بمفهوم(باكوبسن) ليغدو نصا شعريا .

(كل ربيع سوف ينسل مسرعا كالبرق
ايتها الصبية الحسناء.. يا وردة باهرة السيماء
يامن تتوج هامتك الان نشوة الاغترار..
لسوف ترين ذات يوم، وقد تساقطت اشلاء
تحت اقدام المشيب والعجز..
لتستحيل هناك نثارا من غبار..) .

فالشاعر ت.س اليوت يرى(ان موسيقى الشعر هي تمكن الفاظ الشعر من تعدى عالم الوعي والوصول الى العالم الذي يتجاوز حدود الوعي التي تقف دونها الالفاظ) ويمكن الاشارة هنا الى اهمية اراء(كوليردج) على ان(الوزن ينزع الى زيادة الحيوية والحساسية في المشاعر العامة وفي الانتباه) اما(بيتس) فيبالغ الى حد القول (ان الوزن يخلق في الذهن حالة من الغيبوبة اليقظة) ويخلص (ايتشاروز) في كتابه(مبادئ النقد الادبي) الى نتيجة خطيرة وهي(ان وصفنا الصادق للوزن بانه مخدر او مهيج او جليل او تأملي او مرح دليل على قدرة الوزن على التحكم في الانفعال على شكل مباشر) .

(الا ايتها الصبية الحسناء..
ان كنت تدفعين بالالاف مثلي الان
بسحرك الفتان..
صرعى في حبائل العشق والجنون..
وبابتسامة استلطاف من شفتيك اذ ترفان
تملئين صدور الاف مثلي بالهوى والهيام) .

ان اي نزوع حداثي لتحديث البنية الايقاعية للقصيدة الحدثية او لقصيدة النثر يجب ان يتم في اطار الاعتراف بمشروعية الايقاع الشعري والموسيقى الداخلية .

ويأخذ بنظر الاعتبار خصوصية اللغة ذاتها، دون ان يعني ذلك التوقف عند معطيات العروض الخليلي والاوزان العربية الكمية، او التوقف حتى عند انجازات الحداثة الشعرية في الخمسينيات والستينيات .

فمن حق الشاعر ان يجرب او يبحث عن بنى ايقاعية جديدة وقد يتخلى هذا الشاعر عن نظام التفعيلة عن طريق العودة الى الوحدات الايقاعية الصغرى لهذه التفعيلة المتمثلة في الاسباب والاوتار والفواصل، وقد يجرب مرة اخرى الافادة من نظام النبر والتنغيم والوقف والتمفصل، وقد يجرب في اطار القصيدة المدورة، والبحور المختلطة .

(لكن غدا عندما يداهمك الشيب ليطوق جيدك
مثلما يحل الخريف بلونه الاصفر
عندها تطلقين الزفرات الحرى تحسرا
على قلوب ضيعتها عبثا
قلوب كانت نابضة بالشباب
قلوب من اغرموا بك حد التفاني) .

ان الشاعر(عبد الله كوران) كما نلاحظ، ينقل الحياة اليومية، وايقاع النثر اليومي الى جسد قصيدة النثر ويؤنسن الاشياء البسيطة ويصنع من لغة الحياة اليومية شعرا يعتمد الاستعارة الغريبة ويقيم علاقات صادمة بين الالفاظ .

ففي قصيدة(اجراس الفجر) التي نقلها الى العربية السيد(شاهو عبد الله) نجد ان الشاعر يراقص احزانه بعذوبة حيث يقول:

(اين يتواصل من مكمن الغموض
كلما يتصاعد الرنين استمع الى هجس
للاصغاء لم ارتو بكلتا اذني
همسة اغنية صوت لحن
شكوى انفاس اه.. اخ
ما يقال مالمرام لست بفاهم..) .

ان بناء هذه القصيدة هو البساطة بعينها، لكن المضامين وراء هذه التعابير البسيطة والمقتضبة تخلق عالما كاملا من العلاقات التي تؤلف مهاد القصيدة، ان عناصر التوازي والتكرار هنا متميزة تماما .

لكن طول العبارات المتغير يحول دون الانتظام الايقاعي ويقرب القصيدة من ايقاع المحادثة وقد افلح بعض الشعراء بمزج مقاطع من الشعر وشعر النثر في بنية واحدة .

(ولكن كالدوامة تشاطر روحي بكاء
ايها الروح لم هذا السموق
بلا تخوم بلا مكانة
الى متى ابقى بدون معرفتك ؟
ما هذا الصوت واللحن البعيد؟) .

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

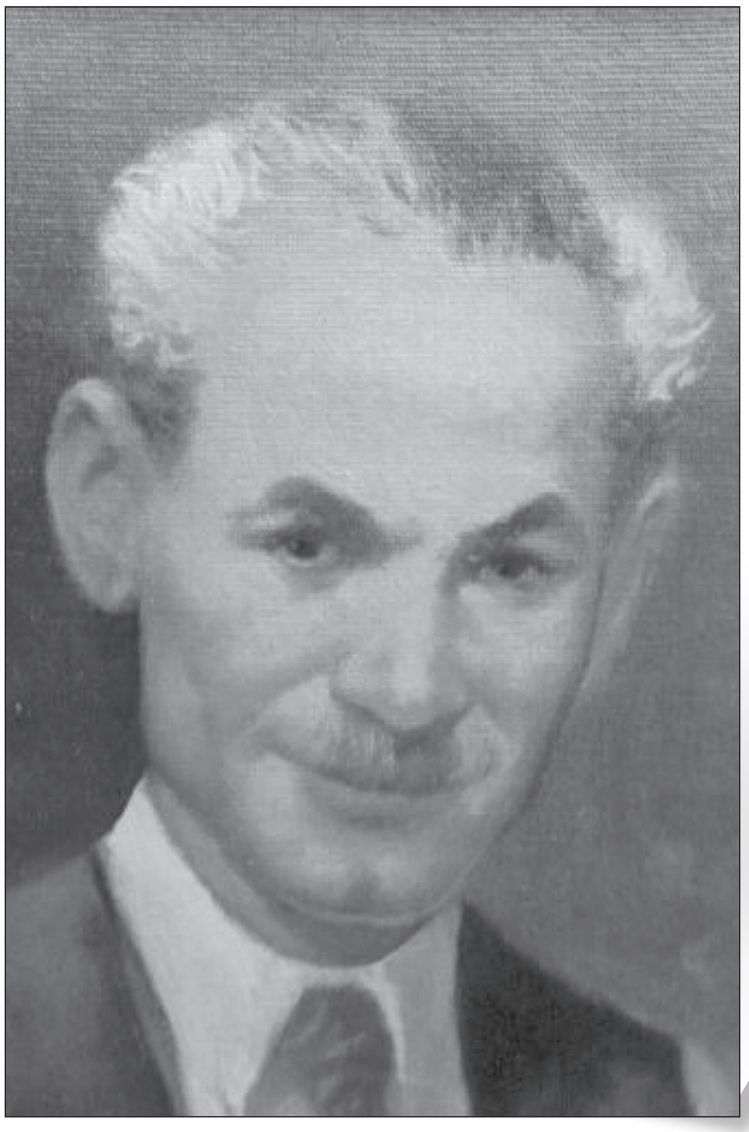

عبدالله كوران وقصيدة الطفل

علوان السلمان

الادب عبر فنونه تصوير الافكار والمشاعر والتجارب في صور تنبض بالحياة فيحولها من عالمها التجريدي الى عالم تجسيدي بالوسائل الفنية الخاصة به لتحقيق غاية إنسانية واجتماعية..

والعملية الابداعية مهما اختلفت اشكالها وتباينت اهدافها هي عملية فنية خلاقة تسجل إنسانية الإبداع منطلقة من واقعها وتحقق إنسانية المبدع الإنسان منبثقة من خياله وفكره.. لذا يتوجب على الاديب ان يوجه ويمتع في آن واحد بمجاراة الحياة بصدق لكي يكون اقدر على أداء رسالته الإنسانية..

والطفل (المواطن القادم) كما يقول ارسطو له رغباته الآنية والمستقبلية.. وله شعور واحساس خاص باستلهاماته واكتشافاته من خلال المعرفة (المقروءة والمسموعة) التي تثري فيه روح الخيال والابداع.. ومن ثم دفع عجلة المعرفة الإنسانية والمساهمة في تنشيط حركتها.. حتى ان الفلاسفة والمفكرين وجدوا ان الطفل فنان قادر على التذوق والانتاج.. وادب الطفل الذي يشكل جزءاً مهماً من الحياة يرتبط كلياً بحركة الادب.. لكنه يتميز بخصوصيته.. اذ يتطلب دراية وخبرة بنفسية الطفل ومتابعة التطورات التي تطرأ عليه خلال مراحل نموه.. لذا يجب ان تكون المعارف الإنسانية المقدمة له تنفرد باسلوبها الملائم والمنسجم وسني عمره ووعيه ودائرة معارفه كي لا يشعر بانفصاله عن واقع الحياة.. اذ انه (كالعالم يتغير بتغيره) كما يقول دوستوفسكي..

وشعر الاطفال الذي هو تشكيل لثقافة الطفل التي هي جماع الخطاب الثقافي الموجه له بفنونها واجناسها الادبية وبوسائطها الثقافية المختلفة كغيره من الفنون لا يختلف عنها الا بوسيلة التعبير وهي الكلمة المقروءة والمسموعة والتي تتشكل من مفردات مموسقة تمتاز ببساطتها وواقعيتها وخيالها.. مع توافر عنصر الجمال الفني وفكرة متكاملة يمكن اتخاذها أساساً للتذوق الادبي والفني عند الطفل.. كونه بحاجة الى اذكاء افكاره ووجدانه بخبرات نقية وكلمات ايقاعية مسجوعة هادئة لا يشوبها الرمز.. بل المباشرة والعفوية.. تخرج من اللسان وتجد مكانها في قلبه وفكره محققة هدفها التربوي والإنساني والروحي.. كون تأثير الشعر في الطفل يعتمد عوامل عدة يأتي في مقدمتها ما يتعلق بشخصيته والبيئة لتحقيق غاياته في تهذيب النفس وبناء الشخصية وتوجيه السلوك ومن ثم زيادة الثروة اللغوية والاسلوبية عنده.. كون الشعر وسيلة محببة وفاعلة لتعليم اللغة واطلاق امكاناتها الابداعية التي تمكن الطفل من اكتساب القدرة على تقدير نواحي الجمال في الافكار والتعابير اللغوية البليغة..

وعبدالله كوران من أولئك الشعراء الذين اغنوا عالم الطفولة شعراً.. فكان شعره يختلط فيه الواقع والحلم والمحسوس والمعقول والحقيقة والخيال.. يجمع بين اللفظة الموحية والصورة الشعرية الرقيقة والفكرة النبيلة.. لذا فهو شعر يجمع بين سهولة الغناء والحفظ كون كوران عاشرهم معلماً ومربياً.. فعكس مشاعرهم وافكارهم باسلوب شاعري.. واقعي.. فني.. اغترف مادته من منابع الحياة وصبها في بودقة القصيدة فاخرجها بصور سحرية تحمل بين طياتها غنائية مبسطة ومضامين انسانية نابعة من طفولته التي نظمت الشعر وتنامت مع نمو فكره ومهاراته الفنية باستخدام مفردات سلسة ذات موسيقى هادئة.. خفيفة على السمع.. مدغدغة المشاعر بمضامينها الوطنية والتربوية.. كونه يعي ان هذه المهمة لن تكون ممكنة وذات تأثير الا اذا كان هذا الادب ذا مرونة وانسيابية.

انا طفل.. انا طفل.. نصير للسلام!
وثم شرط علي ما بقي
ان أغني للسلم
بلساني الريان
فالسلم نور عيوني
انا طفل.. انا طفل.. نصير السلام /
الاثار الشعرية الكاملة ص ٤٤٣

فواقعية كوران تتحدد في شعره بتصويره العميق لمجموع حياة الشعب وفضح قوى الشر من خلال ابداعه في الاشكال الادبية التي طرح فيها مضامينه الانسانية وخاصة المخاطبة لذهنية الطفل.. باعتبار الاهتمام به مسؤولية اجتماعية تتطلب التوعية والتعليم والتهذيب والمتعة.. ومن ثم توفير غذاء روحي –وجداني على مختلف مراحل النمو العقلي للنهوض بعالمه.. كون ذلك يشكل مظهراً من مظاهر التطور وجزءاً فاعلاً من التقدم الحضاري..

اذ ان الشاعر يعي ان ادب الطفل يتطلب استجابات لميوله في التخيل والاكتشاف والتوق الى معرفة ما حوله.. لذا كانت قصائده تؤكد على (السلام والطبيعة والحيوان..)

آه يا ابي الحبيب
ها هو الثلج يتساقط فانظر
لم يبق موطئ قدم في ساحة البيت
قطعة قطعة يتساقط ابيض جميلاً
وتأتي به الريح حبة حبة الى الايوان
كأنها ارياش خفيفة لغول
او سيل من فراشات السماء (الاثار الشعرية الكاملة) ص ٤٥٥

فالشاعر بخياله وعواطفه استطاع ان يوظف الطبيعة وعناصرها ومشاهدها توظيفاً واقعياً واعياً من الناحية الفكرية والنفسية والفنية والجمالية..

مياو.. مياو.. مياو.. مياو..
اركضي هادئة.. ناعمة
ياقطة بضة.. نظيفة الفم والخيشوم
يالفاف حرير تنبض بالحياة
عيونك فيروزة.. ذيلك صل صغير
اركضي.. اركضي.. تعالي الى حضني (الاثار الشعرية الكاملة) ص ٤٥٢

فادب الطفل لا يعرف الا العلاقات الانسانية والروحية وحب الطبيعة وموجوداتها التي من حولنا.. لذا فان ابرز ما يميزه انه يعيد الانسان الى الطبيعة.. فاذا هو صديق (الاشجار والعصافير والفراشات والقطط..).

والشاعر كوران يعرف بشكل واع ودقيق ان الطفل فنان بارع يستطيع ان يخترق الافاق بخيالاته وافكاره مع قدرة فائقة على التذوق.. لذا كان ذكياً في جعل نفسه بمستواه فكراً وتفكيراً.. اذ يقول:

أكبادنا.. اطفالكم
نحن ورود رياض آمالكم
نحن بسمة المهد للامهات
نحن نور ابصار الآباء
نحن قوة مستقبل الانسان (الاثار الشعرية الكاملة) ص ٤٤٤

اذ يتعامل الشاعر مع الطفل مخاطباً الآباء والامهات نيابة عنه والتحدث عن الطفولة وهذا يذكرنا بقول الشاعر حطان بن المعلى حين قال:

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

ولكن بشكل معاكس اذ الخطاب عند كوران ينطلق من الطفولة نحو الاباء من اجل اعطاء الطفل دوراً في اثراء مواهبه وحياته وبناء خصوصيته في الاطار العام.. فكان كوران في قصائده الطفولية يحمل بين طيات فكره عالم طفل يتوجس الاشياء ويتابعها ويعيشها.. لذا كانت قريبة الى نفس القارئ كونها تنبع من المحسوسات والبيئة والمحيط..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1830)
السنة السابعة
الخميس (24)
حزيران 2010

عبدالله كوران... شاعر حلبجة

د. شكور مصطفى

ليس هذا الانجاز الأدبي الفريد مما يسمح أن يقدم له مثلي، كما يقدم لغيره من الدراسات، إذ لا عبقرية كوران، مما أسامح على الخوض في غماره، ولا فضل "علي شانوف"، مما يباح لي أن أدعيه لنفسي. مع ذلك، فلا أجد مَهرباً من الاشارة إلى أني تركت الرأي فيما توصل إليه المؤلف الكريم من تحليلات واستنتاجات لمن هم أدرى مني بحقيقة كوران شاعراً حراً، أو عقائدياً ملتزماً، أو شاعراً رومانتيكياً، أو نصف رومانتيكي، أو نصف كلاسيكي، أو رومانتيكيا واقعيا، أو واقعيا اشتراكيا، إلى غير ذلك من النعوت والألقاب..

ومهما قيل في الموازنة بين كوران شاعر طبيعة وحب ومرأة وجمال، وبينه شاعر سياسة واجتماع وفلسفة، فلستُ بطامع أن أضيف ولو حرفاً. وحسبي اعتزازاً أني نقلتُ هذه الدراسة إلى العربية، وكلي أمل أن يكونَ فيها ما يُغني من افتقار المكتبة الكوردية والعربية إلى مثل هذه الدراسات، والله الموفق. المقدمة إن للشعب الكوردي، كما لعدد من شعوب الشرق الأوسط العريقة في القِدَم، أدباً غنياً، اجتاز عبر العصور طَريق التطور والازدهار الطويل. وعلى الرغم من أن القصائد الغزلية لـ "علي ترموكي"(١) و"علي حريري" اللذين عاشا في القرنين العاشر والحادي عشر، تعد النماذج الابتدائية الأولى من الأدب الكوردي المدوّن، غير أن هذا الأدب إنما بدأ مسيرته في طريق التطور الحقيقي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، مستمداً أسسه من أشعار "فقي تيرا" (١٣٠٧ . ١٣٧٥)، و "ملاي جزيري" (١٤٠٧ . ١٤٨١) من أساطين القول البديع. وماالقرون الوسطى في تاريخ الأدب الكوردي، إلا عهد ازدهار الملاحم والغزل، ويعتبر "أحمدي خاني" (١٦٧٠ . ١٧٠٦) بملحمته الخالدة "مم وزين"، و "نالي" (١٧٩٧ . ١٨٥٥) بغنائياته الخالدة في الحب، إنما يبرزان في عالم الفن للشرقين الأدنى والأوسط مع مشاهير ممثلي الآداب المجاورة، من العربية والفارسية والتركية والأذرية، وقد قارن عدد من علماء الاستشراق، ومنهم: "أوربيلي وكوردوييف وروديتكو" ملحمة مم وزين، من حيث السعة الملحمية والمستوى الفني والغني الاجتماعي . الفلسفي، بملاحم "نظامي كَنجوي" و"روستافيلي".

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تبدأ بظهور شعر "حاجي قادري موي" (١٨١٦ . ١٨٩٢) مدرسة الشعر التنويري الديمقراطي في تاريخ الأدب الكوردي(٢).

ويعد تعاظم الأفكار الوطنية، والتغني بحركات التحرر الوطني والقومي، والدعوة إلى التزود بالمعارف والمدنية الحديثة من الجوانب المميزة للشعر الكوردي. وكان للأفكار الاجتماعية التاريخية أثر بالغ في نضج شكل الشعر الحديث ومضمونه، وتلاشي التقاليد والأصول الأدبية المحافظة وتجاوز حدود النظم الجامدة، وبدء الوزن الهجائي موازياً مع الوزن العروضي بالتطور والازدهار.

وفي مستهل القرن العشرين، وبعد تمزق الإمبراطورية العثمانية، واتساع حركة النضال من أجل التحرر القومي، وتحويلها إلى نضال شعبي عام، بعد سنوات ١٩١٨ . ١٩٣٢، احتلت موضوعات النضال ضد الاستعمار في الشعر الكوردي مكاناً أوسع، وتركت الرومانسية كأسلوب أدبي متميز أثراً بالغا في تطور الأدب الكوردي. وتمثل غنى هذا الأدب عموماً، في أربع مراحل أدبية مهمة، تقترن عادة بأسماء أربعة شعراء كورد مشاهير، وهم: ملاي جزيري، وأحمد خاني، وحاجي قادري كويي، وعبدالله كوران. وتعتبر النماذج الغنية الرائعة لهذا الأدب، أكبر رد حاسم، يدحض أفكار الشوفينيين(٣)، التي تدعو إلى صهر الشعب الكوردي في بوتقات القوميات الثلاث: التركية والفارسية والعربية، تلك الأفكار التي تجافي كل المجافاة أبسط حقائق العلم التاريخي. إن الأدب الكوردي لفوز عظيم، يجسد الوجود التاريخي والصلابة والخصائص القومية لشعب جسور، تكالبت عليه النكبات والمِحَنُ. كما أنه المَثَل الحي للغة الكوردية ذات المزايا العديدة المتسامية بالقيم الانسانية والدنيوية.

إن الأدب الكوردي منظوراً إليه ككل، عبارة عن نماذج من القصائد، أصابها من جمود الشعر الكلاسيكي، شكلاً وتقاليد من جهة، والظروف الاجتماعية التاريخية من جهة أخرى، ما أصاب الشعوب المجاورة في ميدان الدراما والنثر المرسل، من ضمور وفقر. ومن الملاحظ أن دراسة جميع المراحل التاريخية بعمق لتطور الشعر الكوردي تاريخياً، وأدوار المشاهير من شخصياته، وحيواتهم وابداعاتهم، تبرز اليوم أمام المستشرقين الفيلولوجيين، كمسألة علمية جديرة بالاهتمام.

ويتميز القرنان التاسع عشر والعشرون اللذان ازدهر فيهما هذا الأدب الثقيل الوزن، الذي يمكن تسميته بأدب الحياة والكفاح من الناحيتين الفكرية والفنية، بانتصارات أدبية رائعة. وبعد الحرب العالمية الثانية، شرعت الواقعية، تتعاظم وتقوى في الأدب الكوردي أكثر فأكثر، وأخذت عناصر الواقعية الاشتراكية تتطور وتزدهر في هذا الأدب بسرعة ملحوظة. ففي هذه المرحلة، بدأت ابداعات "كوران"، قبل أي واحد، تستلفت النظر. فقد ارتفع كوران كفنان مبدع إلى أعلى مستوى لتطور الشعر الكوردي. وكان كل الحق لمشاهير النقاد، حين اعتبروه خالق مدرسة أدبية ممتازة، وشاعراً أستاذاً.

لقد نشأ شعر عبدالله كوران على الأرضية الأصيلة للشعب الكوردي التنويري الديمقراطي، الذي ابتدع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد بدأ الشاعر منذ عام ١٩٢٠ بابداعاته، مخلفاً في الأدب الكوردي المعاصر انعطافاً عظيماً. وانطلاقاً من محاولة الوقوف على جميع أوجه الابداع للشاعر، فإن مسؤولية الأسبقية في بلورة الرأي بشأن الخصائص المميزة لابداعات كوران، والمزايا الفكرية الجمالية لعدد كبير من آثاره المطبوعة وغير المطبوعة، إنما يتحملها المؤلف نفسه.

في الفصل الأول من الكتاب، يلقي الضوء على حياة الشاعر، ومحيطه الأدبي، ضمن إطار محدد، استناداً إلى (ترجمة حياة) الشاعر التي حررها بخط يده، كمصدر أساسي للبحث. أما الفصل الثاني، فأوسع فصول الكتاب حظاً: ففيه يحاول المؤلف أن يوضح بطريقة علمية أبعاد تطور الواقعية في ابداعات كوران، ويلفت الأنظار إلى ظهور عناصر الواقعية الإشتراكية، كنتيجة منطقية لامفرّ من ترتبها على مقدماتها بالضرورة. وأما الفصل الثالث، فيتناول تحليل الخصائص الفنية لشعر كوران، وأبعاد التجديد في الشكل والأسلوب، استناداً إلى المقالات والدراسات النظرية والميراث الجمالي للشاعر.

وإذ يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن الأوزان، يتبع ما يستشهد به من أمثلة شعرية بما يضبطها بطريقة Transcripsion كأمر بالغ الأهمية من الناحية العلمية. وفي الكتاب، يقوم التقييم لابتكارات كوران في قرض الشعر على أساس المادية الثورية في النظر إلى الأشياء شكلاً ومضموناً.

الهوامش:

١. على الرغم من أن تاريخ ميلاد علي ترموكي ووفاته موضع نقاش، إلا أنه لاشك في كونه من الشعراء الذين عاشوا في القرن العاشر.

٢. انظر أحمدى خاني "مم وزين"، ١٩٦١، المقدمة، المتن النقدي، اعداد م. ب. رودينكو.

٣. رشيد باسمي، الكرد وعلاقاتهم التاريخية، طهران ١٩١٢.

وانظر أيضاً، حاج علي رزم آرا، جغرافية إيران العسكرية، طهران ١٩٢٠.

×من مقدمة كتاب "شعر الشاعر الكوردي المعاصر عبدالله كوران"، تأليف حسين علي شانوف "كورد أوغلو"، بالآذربايجانية. الطبعة الاولى . بغداد ١٩٧٥. مديرية الثقافة الكوردية العامة.

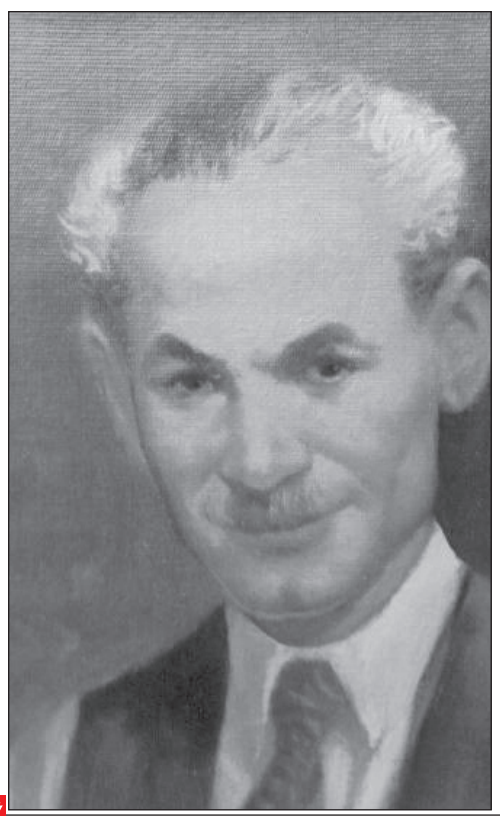

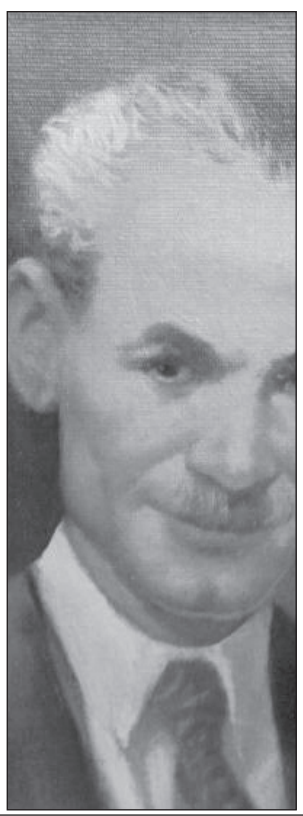

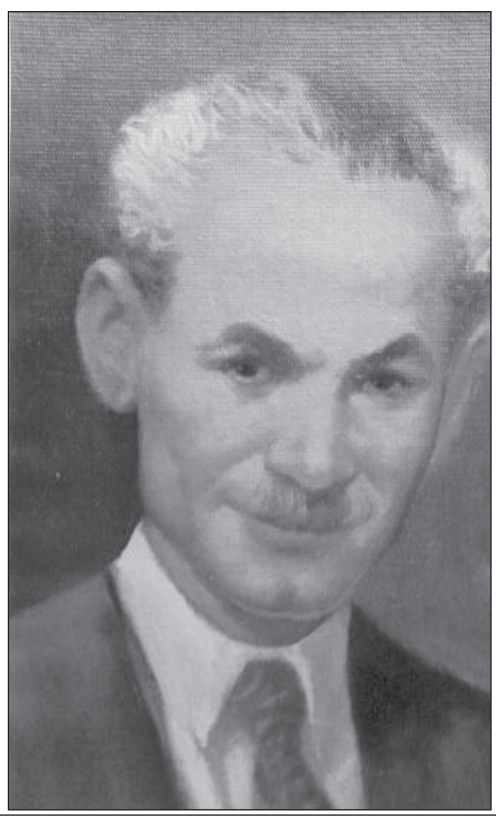

أنشودة الصامد

انا ذلك السجين في الزنزانات المعتمة
تنير شمس الفكر مرأى بصري
خلال آلاف الحلقات الدقيقة، حلقات
الكمائن
تحطم خطواتي السلاسل الثقيلة
انا ذلك السجين، الحبيس خلف اسوار
الفولاذ
غير أني لن اضيع افق آمالي البعيدة

باللهب الاحمر سطر في وجه السماء
ميثاق معتقدي بنداً بنداً
انا ذلك السجين، هدفي قبلة الجميع
فليكن رهيباً مليئاً بالأشواك دربي السوي
فما دام ورائي جموع الشعب ظهيراً
فالشوك ورد والرعب طمأنينة في السير
نحو المبتغى
أنا ذلك السجين الذي لاتهاب

نظراتي غير الابهة، بالعين المتربصة،
المتطايرة حقداً
وصرير أسنان الذئب المكلوب عند جسدي
لن يزيح ثبات روحي الصامدة قيد أنملة
انا ذلك السجين، آسر السجان الغادر
قلبه الاسير يرتجف امام هدير صرخاتي
فمهما أمعنت انيابه في تقطيع جسدي
الجريح

فسيتمرغ بنفسه أكثر فأكثر في الدماء
أنا جندي هدف معلى،
فدائي في درب النقاء
سأبذل جهداً، هو سعي الرجال المخلصين
وأموت ثابت الجنان في درب هو درب
الأباة

السليمانية -١٩٥٣

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون